محمّد شريف الشيبَاني
| مؤرخ الأسرة الحاكمة في قطر

إِمَارَةُ قَطَرَ الْعَرَبِيَّة

بين الماضي والحاضر

نسخة مهداة من د. عبد الله بن هامل الشمري
(تويتر: JAlArb)

الجزء الأول

الجمعة: جمادى الأولى ١٣٨٢هـ

الموافق ٥ تشرين أول «أكتوبر» ١٩٦٢م

الإهداء

لو كنت من طلاب المال الزائل ، والجاه الزائف ؛ لتقدمت بكتابي هذا إلى شخص ينفق المال ليشتري الجاه ؛ فيكون ثمنه غاليًا .

أما وإنني الأديب المجاهد ، والمؤرخ الصادق ؛ فلا بد أن أتشرف بإهداء كتابي هذا إلى شخصيّة عظمى تستصغر الأمرين : المال الزائف ، والجاه الزائل ؛ لهذا كله أجد كتابي هذا بمعناه ومغزاه يجب أن يكون هدية لشخصيتين تفانتا بحب الأدب والأُدباء ، وتجلّتا بهيكل من نور العلم والثقافة ، وما زالتا صاحبتي اليد الطولى في تبوئهما المكانة العليا بين بلاد العالم العربي والإسلامي .

ألا وهما صاحبا العظمة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني ، ونجله الشيخ أحمد بن علي آل ثاني المعظمان .

فإليكما : يا رمز الإباء (القطري) ، والشمم اليعربي .

إليكما يا من رفعا اسم (إمارة قطر العربية) إلى الأوج الأعلى ، والمقام الأرفع .

إليكما : يا من سكبا الابتسام في الشفاه التي جففها الألم .

إليكما : يا من وهبا النور إلى العيون التي غشيتها الدموع .

إليكما : يا من نعتز بأمثال (عظمتيهما) في دنيا الاعتداد .

إليكما يا من تعوّدا بأن يكونا علمين للأدب ، ومناصرين للأدباء والكتّاب .

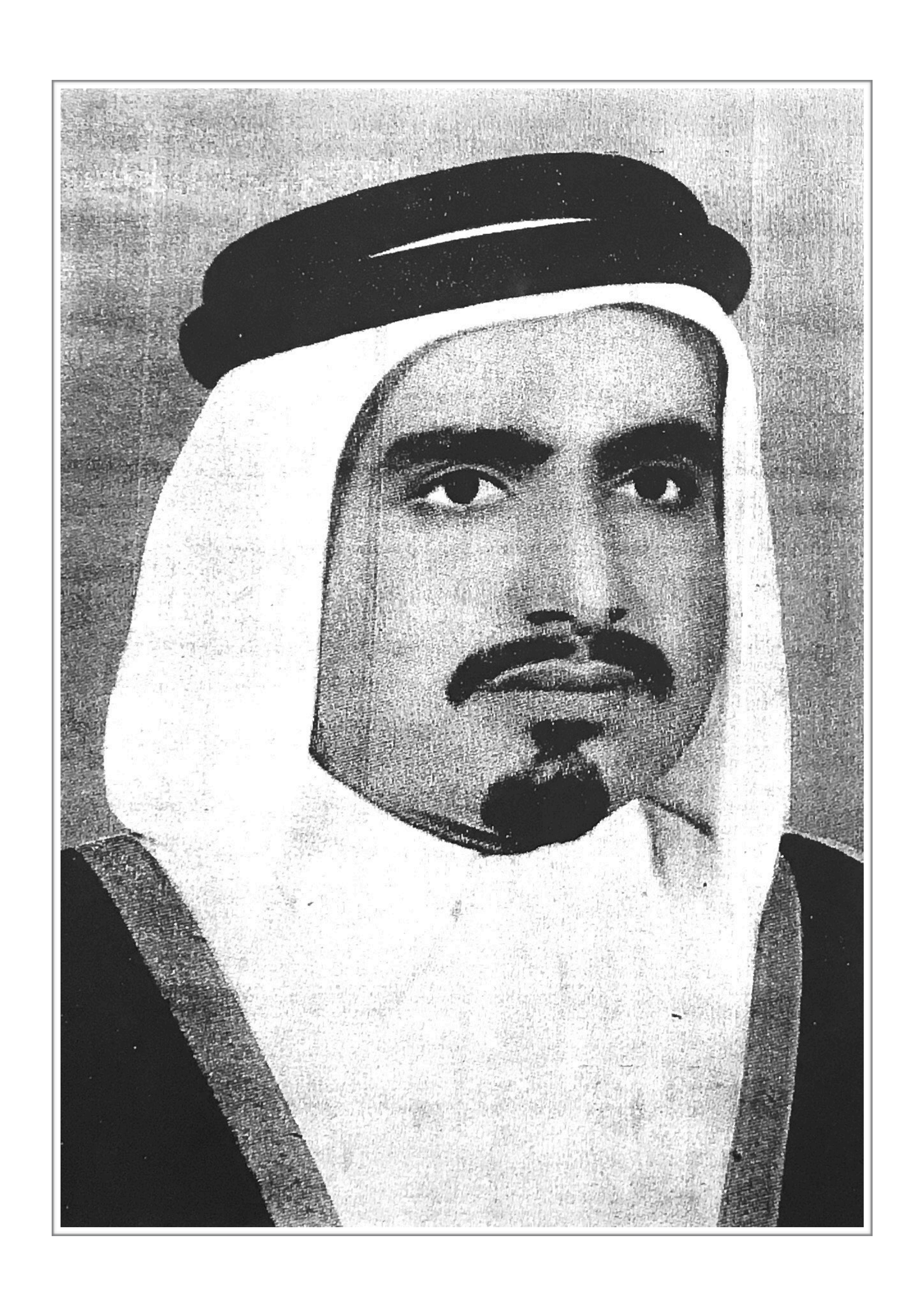
إليكما : يا من انتزعا بما حباهما الله جلّ جلاله من مواهب نادرة نالت إعجاب كبار مشايخ السياسة ، والفضيلة ، والأدب .

إليكما : أقدّم بضاعتي هذه وهي نفحات من أمجاد (قطر) ، وإشراقات من حزم وتدبير آل ثاني الكرام في سياسة هذه البقعة المباركة (قطر) ، والله أسأل أن يحظى بحسن القبول متمنيًا للشعب القطري السعادة والرفاه تحت رايتكما الخفاقة إنه سميع مجيب .

المؤلف



حضرة صاحب العظمة الشيخ أحمد بن علي آل ثاني
حاكم قطر المعظم - حفظه الله ورعاه -

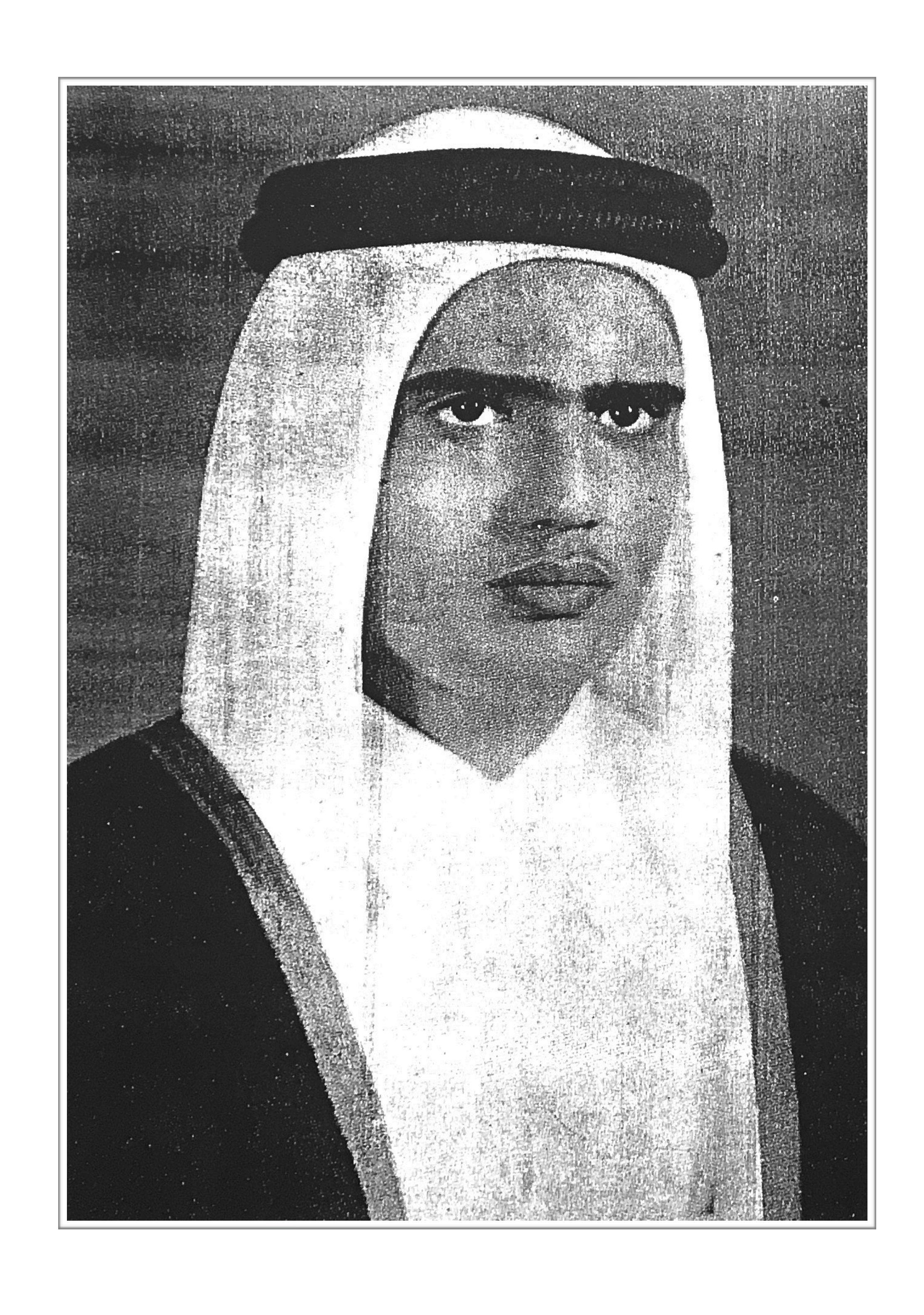


حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ولي العهد ونائب حاكم قطر المعظم - حفظه الله ورعاه -

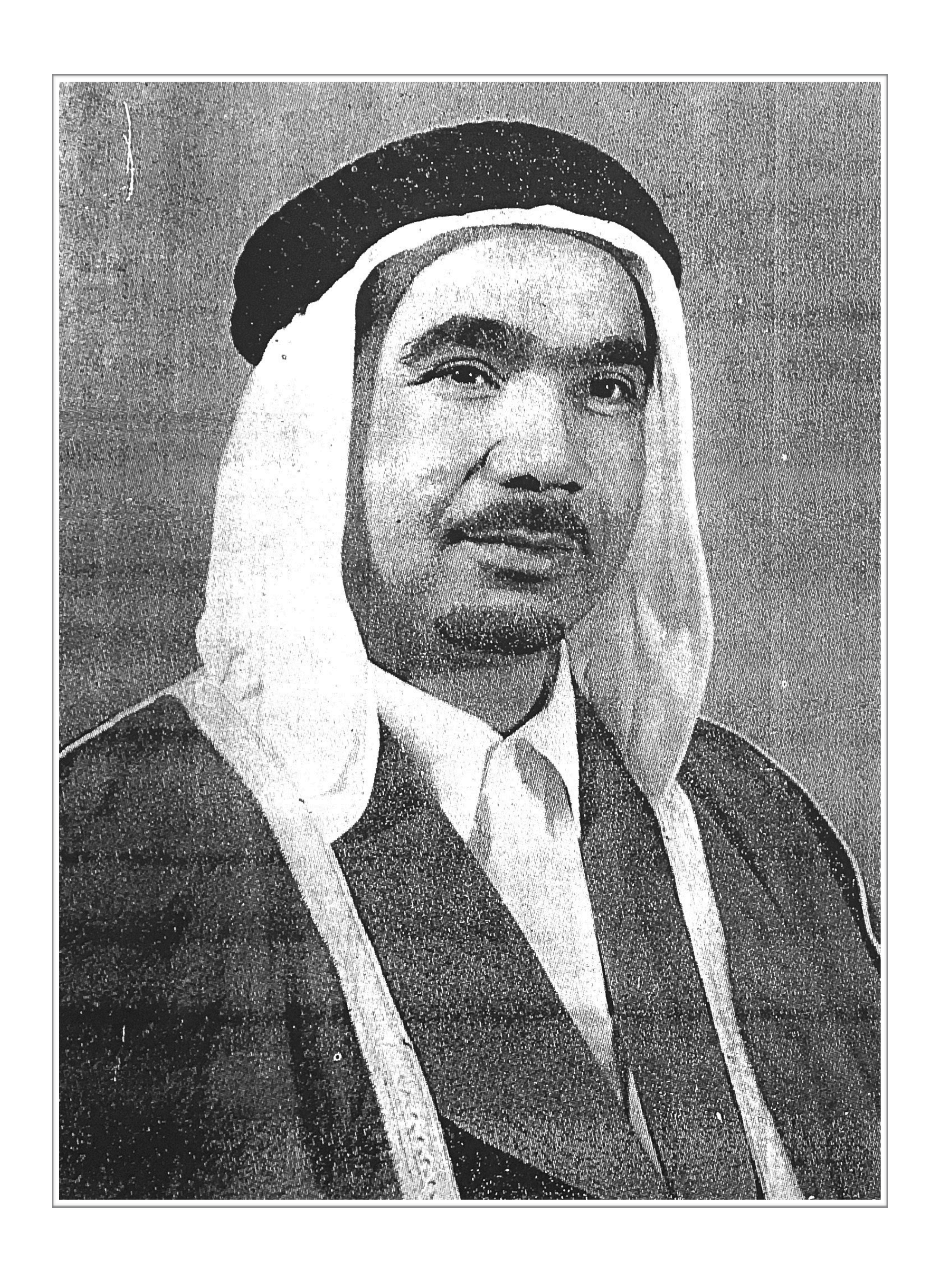


سمو الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني وزير معارف قطر

- حفظه اللّه ورعاه -



سمو الشيخ عبد العزيز بن أحمد آل ثاني أكبر أنجال
حاكم قطر - حفظه اللّه ورعاه -



المؤلف محمد شريف الشيباني

كلمة تقريظ لفضيلة العلامة الشيخ عبد الله العلائلي

كتابٌ أي كتاب، هذا الذي رصفته أنيقًا أنامل «الشيباني»، وجرت به ريشته غنيةً بالتلاوين.

وما ظنّك بكتابٍ هو سجّل إمارة ناهضة، وحكاية أعلام تتقاصر دونها الأعلام الشامخة، وطائفة من نفحاتٍ شعرية في بعض منها عبق عبقري، وفي سائرها، وشيءٌ كأنه محبكات أضواء.

كان من حقّ «المؤلف» علي – وله طائفة من كتب هي أشد ما تكون جدارة بالنشر – أن أخصّه بكلمة تقديم لا تقريظ، بيد أنني حين حاولت، وجدتني «كحامل التمر إلى هجر»؛ فالكتاب نفسه لما اشتمل عليه من معلوماتٍ تدني إليك هذه المنطقة العزيزة على قلب كل عربي حتّى لكأنك تشهدها.

وكم كانت المكتبة العربية في حاجة إلى مثله تعريفًا بتقدمية إمارة، وعظائم أمراء بذلوا للشعب من ذات أنفسهم بذل السخاء، وما أصدق قول بشّار في هذا المقام:

يا سيد العرب الذي *** أمسى وليس له نظير

لو كان مثلك «ثانيًا» *** ما كان في الدنيا فقير

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الرحيم محمد علي

عضو رابطة الأدب الحديث

في القاهرة

والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد: فقد كانت صدفة حسنة ان اطلع على صفحات هذا الكتاب القيم «إمارة قطر العربية» لصاحب السماحة الكبير السائح العربي محمد شريف الشيباني، قبل ان يقدم الى الطبع واطلت النظر في فصوله وابوابه، من اوله حتى آخر صفحة منه.. وحصلت على نتيجة واحدة هي: «إن هذا الكتاب فريد في بابه، ثقة في تتبعه، وروايته لاحداثه»..

لاني وقد طالعت عشرات الكتب عن وطننا العربي الكبير لم اطلع على كتاب مستقل عن الامارة العربية الشماء «قطر» بهذه السعة والتحقيق التي تناولها الكتاب..

اما تتبعه، فان المؤلف لم يغفل كل صغيرة او كبيرة الا ذكرها بتحقيق طيب ينفع كل باحث ومحقق لأحوال وتاريخ الوطن العربي الحبيب..

واما ثقة روايته للحوادث، فقد عانى المؤلف جهداً كبيراً في تتبع الاحداث التي مرت بها قطر منذ فجر الامارة الى عهد سمو الحاكم الحالي الشيخ احمد بن علي آل ثاني، وقد اعتمد المؤلف على مجموعة من المراجع النادرة بالاضافة الى استفادته من رواية: «الشيخ محمد بن احمد آل ثاني» الشخصية العربية القطرية المعمرة التي اشتركت في اكثر تلك الاحداث التي كونت تاريخ قطر الحديث، حتى استتب الأمر لاسرة آل ثاني..

واخيراً اقول: إن هذا السفر الجليل لا يمكن ان يستغني عنه كل عربي يحب التعرف على اجزاء وطنه الكبير، ويحق لي بعد هذا أن اطلق على الأخ المؤلف تسمية «مؤرخ الامارة» فهو جدير بهذه التسمية التي حصل عليها بعد جهد من التجوال والتنقيب والتأليف..

وارجو له أن يوفق لاخراج بقية اعداد سلسلة عن امارات الخليج والجنوب العربي والله تعالى ولي التوفيق.

عبد الرحيم محمد علي
عضو رابطة الادب الحديث
في القاهرة

غرة رجب المرجب ١٣٨١
الموافق ١٠/١٢/١٩٦١

تقديم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد كانت صدفة حسنة أن أطلع على صفحات هذا الكتاب القيم «إمارة قطر العربية» لأخي البحاثة الكبير السائح العربي محمد شريف الشيباني قبل أن يقدم إلى الطبع، وأطلت النظر في فصوله وأبوابه من أوله حتى آخر صفحة منه، وحصلت على نتيجة واحدة وهي «أن هذا الكتاب فريدٌ في بابه، ثقة في تتبعه، وروايته لأحداثه»؛ لأني وقد طالعت عشرات الكتب عن وطننا العربي الكبير؛ فلم أطلع على كتاب مستقل عن الإمارة العربية الشماء «قطر» بهذه السعة والتحقيق الذي تناوله الكتاب، وأما تتبعه؛ فإن «المؤلف» لم يغفل كل صغيرة أو كبيرة إلا ذكرها بتحقيق طيب ينفع كل باحث ومحقق لأحوال وتاريخ الوطن العربي الحبيب، وأما ثقة رواية الحوادث؛ فقد عانى (المؤلف) جهداً كبيراً في تتبع الأحداث التي مرّت بها قطر منذ فجر الإمارة إلى عهد سمو الحاكم الحالي الشيخ أحمد بن علي آل ثاني، وقد اعتمد المؤلف على مجموعة من المراجع النادرة بالإضافة إلى استفادته من رواية «سمو الشيخ محمد بن أحمد آل ثاني» الشخصية العربية القطرية المعمّرة التي اشتركت في أكثر تلك الأحداث التي كوّنت تاريخ قطر الحديث حتّى استتب الأمر لأسرة آل ثاني.

وأخيراً أقول، إن هذا السفر الجليل لا يمكن أن يستغني عنه كل عربي يحب التعرف على أجزاء وطنه الكبير، ويحق لي بعد هذا أن أطلق على الأخ المؤلف تسمية «مؤرخ الإمارة»؛ فهو جديرٌ بهذه التسمية التي حصلها بعد جهد من التجوال والتنقيب والتأليف.

وأرجو له أن يوفق لإخراج بقية أعداد سلسلته عن إمارات الخليج والجنوب العربي، والله تعالى ولي التوفيق.

عبد الرحيم محمد علي

غرة رجب المرجب ١٣٨١ — عضو رابطة الأدب الحديث

الموافق ١٠/ ١٢/ ١٩٦١ — «في القاهرة»

[1] عرضنا مؤلفنا هذا (إمارة قطر العربية بين الماضي والحاضر) على الكاتب العربي القدير الأستاذ عبد الرحيم محمد علي عضو رابطة الأدب الحديث في القاهرة لإبداء رأيه فيه؛ فتفضل بعد مطالعة الكتاب بالكلمة الآتية التي يراها القارئ الكريم بخطه في الصفحة المتقدمة، والأستاذ عبد الرحيم هو أحد أولئك الأدباء الأفذاذ الذين كرسوا حياتهم في خدمة العروبة والإسلام؛ فقد أتحف المكتبة العربية بمؤلفاته العديدة القيمة التي منها كتابه القيم «القرآن والترجمة»؛ فشكراً له على ما تفضل به. (المؤلف)



حضرة صاحب العظمة سمو الشيخ علي آل ثاني المعظم
حفظه اللّه

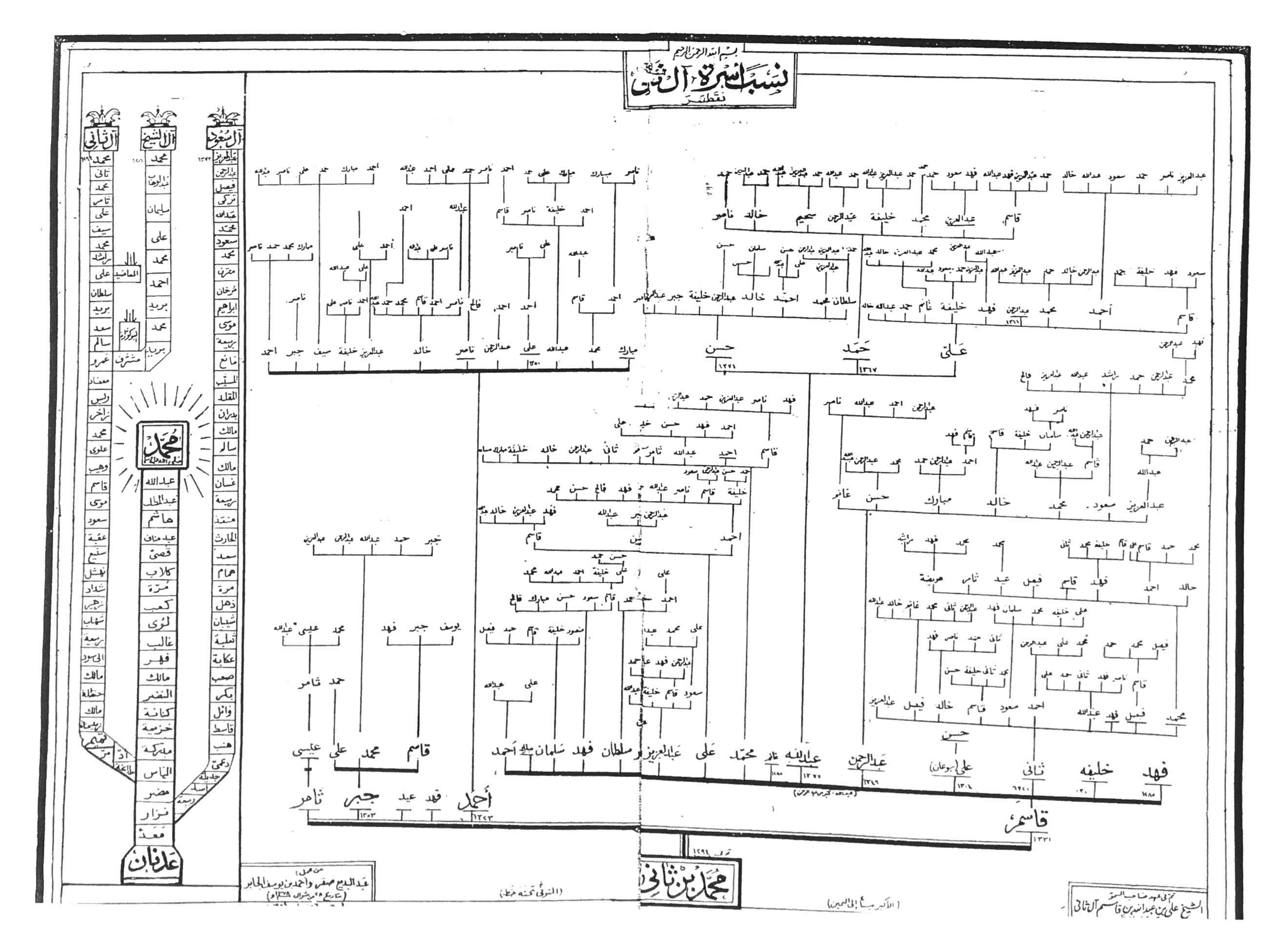
«كلمة الناشر»

نتشرف ونفتخر في أن نزف إلى العالم العربي والإسلامي، هذا السفر الكبير (إمارة قطر العربية بين الماضي والحاضر)، وهو الأثر الناطق بما اجتمع في قطر من أقطار العرب من أمجاد مثالية في زعامته، وعلمٌ ورخاءٌ في شعبه.

إن مجرد الاطلاع على هذا الكتاب ليثبت بأوضح بيان أن (قطر) السعيدة مثالٌ يحتذى، ودليلٌ ساطع على أن عظمة القيادة، وعظمة الشعوب لا يتبعان تلقائيًا سعة الرقعة، وكثرة العدد، وإن صاحبي العظمة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، والشيخ أحمد بن علي آل ثاني (الحاكم الحالي)؛ لجديران بأن يعدا بين الذين قادوا العروبة إلى أمجادها منذ مثلت الأمة العربية دورها على وجه البسيطة، وإذا كان لنا أن نتمنى فرجاؤنا أن يتبع هذا الجزء الأول، جزءٌ ثانٍ في هذا الموضوع الشيق لا سيما وإن لدى المؤلف الأستاذ (محمد شريف الشيباني) مخطوطات عديدة نأمل أن تجد من يشجعه على نشرها.

سيجد قارئ هذا السفر النفيس معرضًا مشوقًا لتاريخ الإمارة منذ مئتي سنة، فضلاً من تراجم حكام ورجالات (آل ثاني) البارزين بالإضافة إلى القصائد العديدة التي أنشدت في مناسبات عامّة بالإمارة السعيدة (قطر) كما يستطيع تصوّر ما بذله المؤلف «الشيباني» من مجهودات حميدة في سبيل خدمة العروبة، والتعريف بسادة نبلٍ من سادات العرب وببلدٍ عزيزٍ، وشعبٍ ناهض.

بيروت – لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم
نسب أسرة آل ثاني
بقطر
آل سعود
آل الشيخ
آل ثاني
محمد
عدنان
محمد بن ثاني
قاسم
من عمل: عبد البديع صقر وأحمد بن يوسف الجابر
تم في عهد صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله بن قاسم آل ثاني
(الأكبر سناً إلى اليمين)
(الشورى تحته خط)



٥٠° شرقاً
٥٥° شرقاً
٦٠
نهر الفرات
عبدان
البصرة
٣٠
الكويت
منطقة محايدة
بوشهر
ايران
بندر عباس
لنجه
الدمام
الظهران
قطر
الدوحة
الهفوف
الرياض
٢٥
ابوظبي
البريمي
عمان
مدار السرطان
٢٣,٥
الربع الخالي
مقياس الرسم
١ : ٦,٠٠٠,٠٠٠
قطر وملحقاتها
٢٠

خريطة قطر

الخليج العربي
ارخبيل البحرين
رأس ركن
رأس ابو عمران
ابو الظلوف
الغارية
العريش
فويرط
الزبارة
دوحة سنا
رأس دخان
رأس عوينات علي
دخان
سميسمة
ج. العالية
ج. السافلية
رأس بومشوط
ج. البشيرية
ج. الاسحاط
خور العديد
خليج سلوى

إمارة قطر العربية

بين الماضي والحاضر

المدخل

الذي يتبع قضايا الأمة العربية من أقدم الأزمنة حتى يومنا هذا يجد نفسه مرغمًا أن يفكر في نقطتين، وهما: سر النبوغ العربي، وسر التدهور الاجتماعي في البلاد العربية، وأنا لا أريد بهذه العجالة أن أدعي بأنني قادر على إعطاء الموضوع حقه من التفسير والبحث، ولكنني أريد أن ألقي ضوءًا على الموضوع بقدر تفهمي للقضايا العامة؛ فإما سر النبوغ العربي؛ فهو – كما يبدو – إشعاع إلهي بل هو بالتأكيد إشعاع إلهي، وليس أقل من ذلك، ولعل «اللغة العربية» وهي خالدة خلود التاريخ تشهد على ذلك؛ فالفرد اليوم يحتاج إلى دراسة مطولة قد تستغرق أحيانًا نصف قرن؛ ليتمكن ذاك الفرد على الإلمام في «اللغة العربية» بينما كان الفرد العربي يتكلمها صحيحة بالفطرة بدونما مدرسة أو كتاب، وهناك أسرار في تشكيلات عائلة مفردات اللغة العربية، وبعض الحروف أيضًا تؤكد هذا المعنى، وتدحض كل شيء يناهضه، والآن أسأل القارئ: لماذا يختلف ضمير المفرد الغائب المذكر (هو) على وزن وحروف ضمير الغائب المؤنث (هي) في حين أنهما يتفقان في التثنية (هما)؛ فنقول هما (رجلان)، وهما (فتاتان)؟

وأتذكر أن بعض أدباء العراق تكلم عن هذا الموضوع عام ١٩٥٤م، وأثبت أن اللغة العربية ذات مزاج حي أبدي، وتخرج من هذا بخلاصة أن الأمة التي تتفاهم في لغة شامخة الأصول، عريقة المجد، وذات فلسفة خاصة في التشكيلات والأحكام، لا بد بل يجب أن تكون تلك الأمة ذات مواهب خاصّة، وعبقريات عظمى، وما نزول القرآن الكريم باللغة العربية، وما ختم النبؤات بنبوة محمد العربي – ﷺ – إلا إشعار إلهي لعموم البشر بمميزات الأمة العربية، وشهادة مقدسة على صلاحها لإدارة الشؤون البشرية، وهنا أنتقل للنقطة الثانية، وأسأل نفسي إذا كانت الأمة العربية بمثل هذه الحيثيات والمقدرات؛ فلماذا – يا ترى – نراها اليوم تعاني الشدائد، والتأخر، والتفكك، والتراخي أيضًا؟

الحق يقال إن العوامل على ذاك كثيرة جدًا لكن في المقدمة بل السبب الرئيس ابتعاد العرب عن الشريعة السمحة مما جعل الأمة العربية تستسيغ كل أمر يعاديها، ويريد الإجهاز والقضاء عليها، وأضرب مثلاً على ذلك أن بعض الدول العربية مع أنها عريقة في حياتها الرسمية إلا أن شعوبها لا تزال تعاني الفقر والمرض والجهل، في حين أن بعض الإمارات العربية في الخليج العربي مع أنها جديدة عهد في الحياة الدولية الرسمية، تجد شعوبها مرفهة، وخير مثال على ذلك إمارة (قطر)؛ فشعبها اليوم سعيد بعمله، نشيط بصحته، قوي في أخلاقه، ولا أدري هل يعلم القارئ الكريم أن (الطب) في قطر قد أممته السلطة الحاكمة؟ إضافةً إلى مجانية التعليم؟! وما هذه الشواهد على تقدم (قطر) إلا انعكاسات مشرقة لقوة الدين الإسلامي في (قطر)، ونخرج من هذا أن أسباب الوعكة العربية بل أسباب الداء الذي دمّر أكثر المقدرات العربية هي ابتعاد الأمة عن دينها الحنيف.

وأنا منذ نعومة أظفاري، أتشوق دائمًا وأبدًا إلى جولة عامة في (الوطن العربي الكبير) من المحيط إلى الخليج بصورة عامة، وفي الخليج العربي بصورة خاصة؛ فالأمجاد العربية، والسؤدد الإسلامي بتاريخهما الحافل كانا لي سببًا رئيسًا لرغبتي تلك، ولعل انصرافي – بعد حين – إلى مهنة الخطابة والوعظ والإرشاد – عن طريق (الراديو) والمجتمعات – كان من الدوافع اللا شعورية لتحقيق تلك الرغبة، رغبتي في جولة عامة في الخليج العربي على الأقل،

ولا يخفى أن الوعظ والإرشاد والخطابة مهنة تتطلب الجولات والتنقلات لا هرولة وراء الكسب، وإنما ركضًا وراء الثواب الجزيل يوم الحساب أولاً، ولإشباع بواعث نفسية ثانيًا حيث إن بيتوتيّتي العلمية، وبيئتي الدينية كلها تدفعني - ومن ورائها شوقي للاستطلاع على أمجاد الوطن العربي - دفعًا أن أكون خطيبًا محترمًا، وأديبًا مرموقًا، وهكذا كان؛ فرأيتني ملزمًا أن أُلبي النداءات والدعوات الكثيرة الموجهة لي من (العلماء الأعلام، وقادة المسلمين الأخيار) في وجوب خروجي إلى الوعظ والإرشاد والخطابة على صعيد إسلامي عربي، وتلك لعمري إحدى الركائز الروحانية التي أتشرف بها، ولعله من حسن حظي أن ينتهي بي المطاف إلى إمارة (قطر) السعيدة المباركة.

قدمت «قطر» أول ما قدمت، وأنا متعب أشد التعب من هذه المهنة - أقصد مهنة الوعظ والإرشاد -، وأقولها بصراحة أيها القارئ الكريم، إنني رأيت في مهنتي (الخطابية) بعض إساءة لي من بعض التصرفات التي يستهدف بها صنف معين من الناس شخصية الخطيب الديني فيما إذا لم يكن الخطيب طوع تصرفات ذاك الصنف المعين من الناس، وهنا لا أترك القارئ في حيرة من ذاك الصنف المعين من الناس؛ فأقولها بصراحة أنهم جمهرة من الناس استغلوا عواطف المسلمين في أكثر من بلد واحد، وراحوا يتزيون بزي أهل الدين لغرض اصطياد المنافع الشخصية باسم الدين بدونما وازع نفسي أو ديني! وإني يشهد الله يوم اصطدمت ببعض أجناد هذا الصنف رأيتُ نفسي بين أمرين كليهما نار؛ فإما أن أغض الطرف عن هؤلاء؛ فأحاسب يوم القيامة لتقصيري في واجباتي، وإما أن أكون على عكس ذلك؛ فأكون قد رميت بنفسي في أفواه هذه الطغمة وهي تسيل نارًا، وهكذا وجدتني في حيرة وارتباك من النتيجة!

وأخيرًا هيّأ الله جل شأنه، أسباب الخلاص من تلك الداهية الدهماء؛ فتخلصت من زعانف المستغلين عباد الله باسم الله والدين، والحمد لله تعالى شأنه على جزيل نعمه. أما كيف تخلصت؟ فإلى القارئ الكريم موجز القضية: إن زملائي بالدرس منذ نشأتي الأولى يعلمون بنزوعي أصالة في رأيي في الأمور الفقهية، وليس يقدر أحد أن يثنيني عما أعتقد به قبل أن أقيم الدليل إلى نفسي ببراهين خاصة وأصيلة؛ فوجدت طريقًا رحبًا لهذه المميزة، وأنا أجتازُ إمارات الخليج مما جعلني في أفق رحب مشرق أنار لي الطريق أكثر من ذي قبل، والتجوّل كما هو معروف «مدرسة» إلى أولي العلم والعرفان؛ فأنا بجولاتي - قبل أن أصل قطر - استطعتُ أن أجزم مبدئيًا في أمرين، الأول: صحة أفكاري الأصيلة التي كانت تراود ذهني منذ حياتي الدراسية الأولى، والأمر الثاني: الاستغناء الكلي عن المحاذير الشرعية في عملي (كخطيب ومرشد) بعد أن لمست عن كثب أن المجتمعات التي طرقتها في الخليج هي مجتمعات بلغت ذروة الكمال في التفقه الديني، وحيث إن مهنة (الخطيب) لا تتجاوز عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فيكون واجب الجهاد قد سقط عني في مثل هذه المجتمعات الخيرة المؤمنة، ولم تبقَ هناك محاذير شرعية عن انصرافي عن هذه المهنة، وزدتُ رسوخًا في هذا بعد أن دخلت «قطر»، ورأيتني أكون كناقل التمر إلى هجر فيما لو بقيت خطيبًا دينيًا ومرشدًا إسلاميًا؛ فقطر بقعة مباركة ميمونة إسلامية موحدة لا يعرف أهلها غير الخير، وينبذون الشر نبذ النواة؛ فإذا ما كان في إمارة (قطر) هنا وهناك بعض شذاذ؛ فهؤلاء لا ينفع بهم وعظ، ولا يفيدهم إرشاد، وهل ينفع هدي امرئ أعمت الأيام قلبه وساء سبيلاً؟! وإنها لنعمة ربانية عظمى أن يعيش الإنسان في بقعة هذّب الدين شعبًا وأدبت العروبة أهلها! حينذاك وجدتني - وأنا المسلم الموحد والتلميذ المشتغل - ملزمًا بخوض الحياة

الأدبية الصرفة، ورأيتني ملزمًا أن أكرس أقصى جهودي لخدمة (قطر)؛ لأن رحمة الله تعالى شأنه أعفتني من واجبات الوعظ والخطابة والإرشاد فيها، ولأنه جلت قدرته حبب إليَّ السكنى ولو إلى حين في هذه البقعة الميمونة.

وإني لأشكره - جل وعلا - أن وفقني لخدمة هذا البلد عن طريق النشر والتأليف وتقديم كتابي السابق «أعلام الخليج»، ومع أن هذه الخدمة تعتبر جزئية إلا أنها من دواعي افتخاري وسروري؛ لأنها نالت بعض رضاء وقبول سكان قطر. أضف لتلك الخدمة (فرحة الشعب) وهو كراس في حد ذاته كان له موضع القبول من البيت الحاكم، والشعب القطري بصورة عامة، وها إنني أدفع إلى المكتبة العربية أثرًا مهمًّا وتاريخًا جديدًا - كان مطويًا في زوايا الإهمال والنسيان - عن إمارة (قطر) العربية، وهو هذا المطبوع الذي بين يديك أيها القارئ الكريم، وإني لأتمنى أن يحوز على رضا الجميع، وأدعوه جل شأنه أن يوفقني لخدمة قطر وشقيقاتها إمارات الخليج العربي بصورة خاصة، والوطن العربي بصورة عامة برعايته تعالى شأنه وعطف وتأييد عباده المخلصين وتشجيع القرّاء الأكارم.

والآن أعود مرةً أخرى مع القارئ الكريم إلى صلب وجوهر (مدخل) هذا الكتاب؛ فأقولها ولا أخشى أحدًا بأنني أجزم أن الأمة العربية إذا أرادت استعادة مجدها الضائع فما عليها إلا أن تعود إلى الشريعة السمحة لتهذّب خلقها، وتبني مجتمعاتها بنيانًا مرصوصًا، وحينذاك ستكون الأمة العربية قوةً دوليةً لها حسابها الخاص في تقرير مصير البشرية، وإني أهيب بشعوب وحكام الأقطار العربية أن يتأملوا كثيرًا كثيرًا كثيرًا في أسباب تقدم المجتمعات في الإمارات الصغيرة وتأخرها في الدول العربية الكبرى؛ ليتأكدوا أن السبب في الحالة الأولى تمسك الناس بالإسلام، وفي الحالة الثانية ابتعاد الناس عن الإسلام، وإلى هنا أقف بالقارئ الكريم، وأنا مطمئن أنه سيكون خير دعاوة لدين الإسلام حيثما يحل ويرتحل؛ ليعم الرفاه، ونظفر بالمجد التليد، والله أسأل أن يوفق الجميع إلى خدمة العروبة والإسلام، إنه سميع مجيب، وهو ولي التوفيق.

المؤلف

الأربعاء ١ محرم الحرام ١٣٨١هـ
الموافق ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦١م

لمحات تاريخية عن قطر وممن ينسب إلى قطر من المشاهير

ورد اسم قطر في مناسبات محدودة في التاريخ ؛ فقد ذكر الفيروز آبادي في القاموس المحيط ما يأتي : قطر : بلد بين القطيف وعمان ، وثياب قطرية ، ونجائب قطريات . وقال : قطار : موضع بين واسط والبصرة ، وقُطُرُ : بلد بين شيراز وكرمان ، والقطرية : ناحية باليمامة .

وينسب إلى قطر النعام ، ونجائب الإبل ، وكانت لها فيها سوق شهيرة منذ القدم ، وكانت قطر كغيرها من موانئ البحرين تزدهر فيها صناعة السيوف ، والرماح الخطية التي كانت تحمل من بلاد الهند ، وكانت تعرف أيضًا بأنها أكثر بلاد البحرين خمرًا[2] ، وإن أهم ما عرفت به قطر برودها التي كانت تنسجها وتصدرها إلى الخارج ، وقد وصفت بأنها حمر لها أعلام[3] ، وفيها بعض الخشونة كما وصفها بعضهم بالجودة ، والظاهر أن شهرة أثواب قطر قد استمرت إلى ما بعد ظهور الإسلام ؛ فالرسول الأعظم – ﷺ – لبس الثوب القطري ، وكذلك زوجته السيدة عائشة – رضي الله عنها – كانت تلبس درعًا من منسوجات قطر ، وذكر بأن ثمنه خمسة دراهم[4] ، كما أنه كان لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أزار قطري مرقوع برقعة من أدُم (أي جلد)[5] .

وممن ينسب إلى قطر ، مري بن قطري من رجال القرن الأول الهجري ، وقد ذكره الفيروز آبادي[6] في قاموس المحيط بأنه تابعي ، والتابعي من رَأى صحابيًا ، وأخذ عنه . وممن ينسب إلى قطر أيضًا ، الماحوز بن الفجاءة أخو قطري ، ولكنه كان من أهل السنة والجماعة وهو من أصحاب المهلب ، وأخذ يحارب أخاه حربًا

---

[2] راجع معجم البلدان مجلد ٤ / ٣٧٣ . وأضاف ياقوت : «وقال الراعي ؛ فجعل النعام قطرية بقوله : الأوبُ أوبُ نعائم قطرية *** والآل آل نحائص حقب ؛ فنسب النعام إلى قطر لاتصالها بالبر ورمال يبرين ، والنعام تبيض فيها ؛ فتصاد ، وتحمل إلى قطر» ، والنعام جمع نعامة . وللنعامة ريش جميل يستعمل للزينة ، ويضرب بها المثل بالغباوة والإجفال . والنجائب جمع النجيب من الإبل ، وهو عتاق الإبل التي يسابق عليها . قال جرير : لدى قطريات

إذا ما توغلت *** بها البيد غاوَلن الحزوم الفيافيا . قطريات : إبل منسوبة إلى قطر ، تغول البيد : تنكرها . غاولن : بادرن . البيد : مفردها البيداء ، وهي الفلاة . الحزوم : مفردها الحزم وهو الغليظ المرتفع من الأرض . الفيافي : مفردها فيفاء ، وهي المفازة لا ماء فيها ، وقيل الفيفاء الصحراء الملساء ، وقد ذكر قطر أيضًا عبدة بن الطيب بقوله :

تذكر ساداتنا أهلهم *** وخافوا عمان وخافوا قطر

وخافوا الرواطي إذا عرضت *** ملاحس أولادهن البقر

الرواطي : أناس من عبد القيس لصوص ، عرضت : أظهرت . ملاحس البقر أولادها : أي المواضع التي تلحس فيها البقر أولادها ، وهي المفاوز المقفرة ؛ لأن البقر الوحشي لا تلد إلا بالمغاور ، وعبدة هذا من تميم شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، وكان أسودًا شجاعًا حارب ضد الفرس وهو صاحب المرثية التي منها : وما كان قيس هلكه هلك واحد *** ولكنه بنيان قوم تهدما . يقال إنه أرثى بيت قالته العرب .

[3] أي : مخططة .

[4] والدرهم يساوي نحو نصف روبية ، وهو من اللفظة اليونانية دراخمة .

[5] راجع طبقات ابن سعد جلد ٢ قسم ١ ص ٢٣٨ .

[6] الفيروز آبادي : هو محمد بن يعقوب ، أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد عام ٧٢٩هـ – ١٣٢٩م ، وتوفي في زبيد من أعمال اليمن عام ٨١٧هـ – ١٤١٥م . أشهر كتبه : قاموس المحيط بأربعة أجزاء .

لا هوادة فيها. قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (١/ ٢٢٠): «قال قطري بن الفجاءة المازني لأخيه الماحوز، وكانا قد توافقا في صفيهما: أرايت إذا كنت أنا وأنت نتدافع على ثدي أمنا بالأعدان؟»".

وممن ينسب إلى قطر من مشاهير الرجال، قطري بن الفجاء اشتهر بنسبته إلى قطر، قال ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان ما نصه: «أبو نعامة، قطري بن الفجاءة، واسمه جعونة بن مازن بن يزيد بن حبتر بن كابيه بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر المازني التميمي الخارجي»، ومن ناحية أمه شيباني[7]، وقد ورث عن تميم وشيبان كثيراً من صفات القبيلتين العظيمتين المشهورتين بالسلطان، والقوة والعزة والمكانة الأدبية[8]، وقولهم قطري نسبةً إلى قطر حيث ولد في الأعدان[9]، وكانت كنتيه في الحرب «أبا نعامة»، ونعامة هي فرسه، وفي السلم «أبا محمد». قيل لأبيه الفجاءة؛ لأنه كان باليمن فقدم على أهله فجأةً، وقطري معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة، وعرف أيضًا بالشجاعة وإقدامه وكثرة حروبه. قوي النفس لا يهاب الموت، وكان منار الرهبة لخصومه. يروى أنه خرج يومًا في بعض حروبه على فرس له هزيل وبيده عمود خشب، ولما نزل خصمه إلى المبارزة وحسر قطري اللثام عن وجهه؛ فر الرجل الخصم، ولما ناداه قطري قائلاً له: إلى أين؟! فقال: ليس عيبًا أن يفر الإنسان منك. ومما جاء في ترجمه «أنه كان طامة كبرى وصاعقة من صواعق الدنيا في الشجاعة والقوة، وكان عربيًّا مفوّهًا وسيداً عزيزاً، وشعره في الحماسة كثير». وهو من رؤساء الخوارج الأزارقة وأبطالهم، استفحل أمره في زمن «مصعب بن الزبير» لما ولي العراق نيابةً عن أخيه عبد الله، وفي ولاية الحجاج بن يوسف أرسل إليه الجيش بعد الجيش؛ فكان يهزمها ويتغلب عليها، وبقي قطري ثلاث عشرة سنة أو عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين[10]؛ فكان رئيسًا لدولة مستقلة يُجبى له الخراج وتسك النقود باسمه[11]، وهكذا ظل ثائراً على حكام الدولة من الزبيريين والأمويين حتى قتل عام ٧٨هـ (٦٩٧م) وقيل ٧٩هـ، واختلف المؤرخون في سبب قتله؛ فقيل عثر به فرسه؛ فاندقت فخذه فمات وجيء برأسه إلى الحجاج؛ فأرسله إلى عبد الملك بن مروان، وقيل توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي؛ فقاتله وقتل، وكان قاتله مباشرة سودة بن أبحر الدارمي في المعركة بالري[12] أو طبرستان جنوبي بحر خزر ولا عقب له، وكان على جانب عظيم من الفصاحة والبلاغة، وإلى القارئ الكريم نموذجًا من بلاغته التي تتجلى من جوابه لرسالة الحجاج بن يوسف وذلك أنه أرسل الحجاج كتابًا قال فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف إلى قطري بن الفجاءة، سلام

---

[7] بنو شيبان: بطن من بكر بن وائل من العدنانية.

[8] أدب الخوارج في العصر الأموي.

[9] وهو المكان المعروف اليوم باسم «المعدان» في الجنوب الشرقي من قرية «الخوير» في شمال قطر.

[10] أراد الخوارج في بادئ الأمر مبايعة عبيدة بن هلال اليشكري من المقدمين فيهم ومن شعرائهم وخطبائهم لكنه اعتذر وقال لهم: أدلكم على من هو خير لكم مني: هو قطري بن الفجاءة؛ فبايعوا قطريًا أميراً عليهم، وأضحى عبيدة تابعًا له.

[11] راجع: وفيات الأعيان (٤٣٠)، وابن الأثير (٤/ ١٧١)، والطبري (٢٧٤٧) والأعلام وغيرها وهي كثيرة.

[12] الري: بلد من بلاد إيران تقع على مسافة عدة كيلو مترات من طهران.

عليك، الموحد لله، والمصلي عليه محمد عليه السلام، وأما بعد: فإنك كنتَ أعرابيًا بدويًا تستطعم الكسرة، وتخف إلى التمرة، ثم خرجت تحاول ما ليس لك به حق، واعترضت على كتاب الله، ومرقت من سنة رسول الله – ﷺ –؛ فارجع عما أنت عليه بما زين لك، وادعني فقد آن لك»؛ فكتب إليه قطري: «بسم الله الرحمن الرحيم، من قطري بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف، سلام على من اتبع الهدى. ذكرت في كتابك أني كنت بدويًا أستطعم الكسرة، وأبدر إلى التمرة، وبالله لقد قلت زوراً بل الله بصرني من دينك ما أعماك عنه إذ أنت سابح في الضلالة، غرق في غمرات الكفر! ذكرت أن الضرورة طالت بي؛ فهلا برز لي من حزبك من نال الشبع، واتكأ فاتّدع أما والله لئن أبرز الله لي صفحتك[13]، وأظهر لي صلعتك؛ لتنكرن شيعتك، ولتعلمن أن مقارعة الأبطال ليس كتسطير الأمثال»، وقد أفردت الدكتورة سهير القلماوي في كتابها «أدب الخوارج في العصر الأموي» فصلاً مسهبًا عن هذه الشخصية العربية الإسلامية، وعن حروبه؛ فليراجع، وكانت زوجته أم حكيم مثله من أشجع الناس وأجملهم وجهًا، وبعد وفاته خطبها الكثير من الخوارج؛ فردتهم، ولم تجبهم إلى ذلك، وكانت تحمل على الناس في الحرب، وتقول:

أحمل رأسًا قد سئمت حمله
وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عني ثقله

ومن شعر قطري مخاطبًا نفسه:

أَقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعًا مِنَ الأَبطالِ وَيحَكِ لَن تُراعي
فَإِنَّكِ لَو سَأَلتِ بَقاءَ يَومٍ عَلى الأَجَلِ الَّذي لَكِ لَم تُطاعي
فَصَبرًا في مَجالِ المَوتِ صَبرًا فَما نَيلُ الخُلودِ بِمُستَطاعِ
وَلا ثَوبُ البَقاءِ بِثَوبِ عِزٍّ فَيُطوى عَن أَخي الخَنعِ اليُراعُ
سَبيلُ المَوتِ غايَةُ كُلِّ حَيٍّ فَداعيَهُ لِأَهلِ الأَرضِ داعي
وَمَن لا يُعتَبَط يَسأَم وَيَهرَم وَتُسلِمهُ المَنونُ إِلى انقِطاعِ
وَما لِلمَرءِ خَيرٌ في حَياةٍ إِذا ما عُدَّ مِن سَقَطِ المَتاعِ

ولقطري في موقعة يوم دولاب[14] بين الخوارج وأهل البصرة:

لعمرك إني في الحياة لزاهد *** وفي العيش ما لم ألق أم حكيم

[13] أي: وجهك.

[14] دولاب: قرية قرب «الأهواز» التقى فيها الخوارج مع أهل البصرة، والأهواز: مدينة تقع شمال شرقي البصرة.

من الخفرات البيض لم ير مثلها *** شفاء لذي بث ولا لسقيم[15]

لعمرك إني يوم ألطم وجهها *** على نائبات الدهر جد لئيم

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت *** طعان فتى في الحرب غير ذميم

غداة طفت علماء بكر بن وائل *** وعجنا صدور الخيل نحو تميم[16]

وكان لعبد القيس أول جدها *** وأحلافها من يحصب وسليم[17]

وظلت شيوخ الأزد في حومة الوغى *** تعوم وظلنا في الجلاد نعوم[18]

فلم أر يوماً كان أكثر مقعصاً *** يمج دماً من فائظ وكليم[19]

وضاربة خدا كريماً على فتى *** أغر نجيب الأمهات كريم[20]

أصيب بدولاب ولم تك موطناً *** له أرض دولاب ودير حميم[21]

فلو شهدتنا يوم ذاك وخلنا *** تبيح من الكفار كل حريم[22]

رأت فتية باعوا الإله نفوسهم *** بجنات عدن عنده ونعيم

* ملحوظة : في هذه القصيدة بعض الأغلاط النحوية ، وهي لا تخفى على القارئ النبيه .

---

[15] الخفرة : الحيية ، والبث : الحزن .

[16] علماء : أي على الماء . عجنا : عطفنا وثنينا .

[17] الجد : الحظ .

[18] حومة الوغى : أشد موضع في القتال . الجلاد : التضارب بالسيوف .

[19] أقعصه : ضربه فمات مكانه . الفائظ : الميت . الكليم : المجروح .

[20] يقصد نافع بن الأزرق زعيم الخوارج وقد قتل في هذه الموقعة .

[21] دير حميم : موضع بالأهواز .

[22] يقصد بالكفار أعداء الخوارج من المسلمين ، والحريم ما تحميه وتقاتل عنه .

أصل القطريين[23]

هم قبائل المعاضيد منهم البوكوارة، وآل ابن علي، وغيرهم ومنازلهم الوشم بين العارض والقصيم في نجد رحلوا إلى واحة جبرين بين الأحساء والرياض – قبل مائتين وثلاثين سنة تقريبًا –، وفي أوائل القرن الثامن عشر الميلادي رحلوا إلى (سلوى)[24]، ونزل بعضهم في (اسكك)[25]، وانتقلوا إلى (الرويس)[26] ثم إلى (الزبارة)[27]، ولقد ولد «ثاني» جدّ الأسرة الأول نفسه في قرية الزبارة المذكور.

وقائع قطر التاريخية[28]

لقد حدثت وقائع وغزوات وحروب في قطر، وتعرضت للغزو عدة مرات، وكان يصيبها ما يصيب بلاد هجر والبحرين لاتصال رقعة الأرض، وقد عرف القطريون بالشجاعة والبسالة والبأس من قديم الزمان، وهم أهل خشونة وبداوة وغيرة وحمية، ولذلك كانوا يحرزون الانتصارات على عدوهم مع قلة عدتهم وعددهم، وقبل أن نسرد تلك الوقائع والغزوات يجب أن نذكر القبائل الأصيلة التي كانت تقطن في إمارة قطر كي يسهل على القارئ معرفة الوقائع وربطها بعضها ببعض.

---

23 القطريون بمجموعهم يعودون بأنسابهم إلى: آل ثاني – العائلة الحاكمة – وهم من بني تميم والمعروف أنها نزلت الدوحة في القرن الثالث عشر الهجري في عهد محمد بن ثاني، والمانع من تميم، والغانم من نجد، والعطية من المنانعة، والسلطة من تميم، والخليفات من قبيلة قحطان العدنانية، والعسيري من عسيرة، والسودان من كندة (وكندة من قبيلة كهلان القحطانية) وهم منتشرون في ساحل عمان، وفي البحرين وغيرها، وأبو رميح من عشيرة طيئ من القحطانية ويذكرون أنهم نزحوا الخليج من بلاد غزّة، والمحاشير فرع من قبيلة خالد، وآل بوكوارة وآل بن علي فرع من العتوب وغيرهم، وهناك طائفة سكنت قطر من الإيرانيين الذين استعربوا وحسنت عروبتهم.

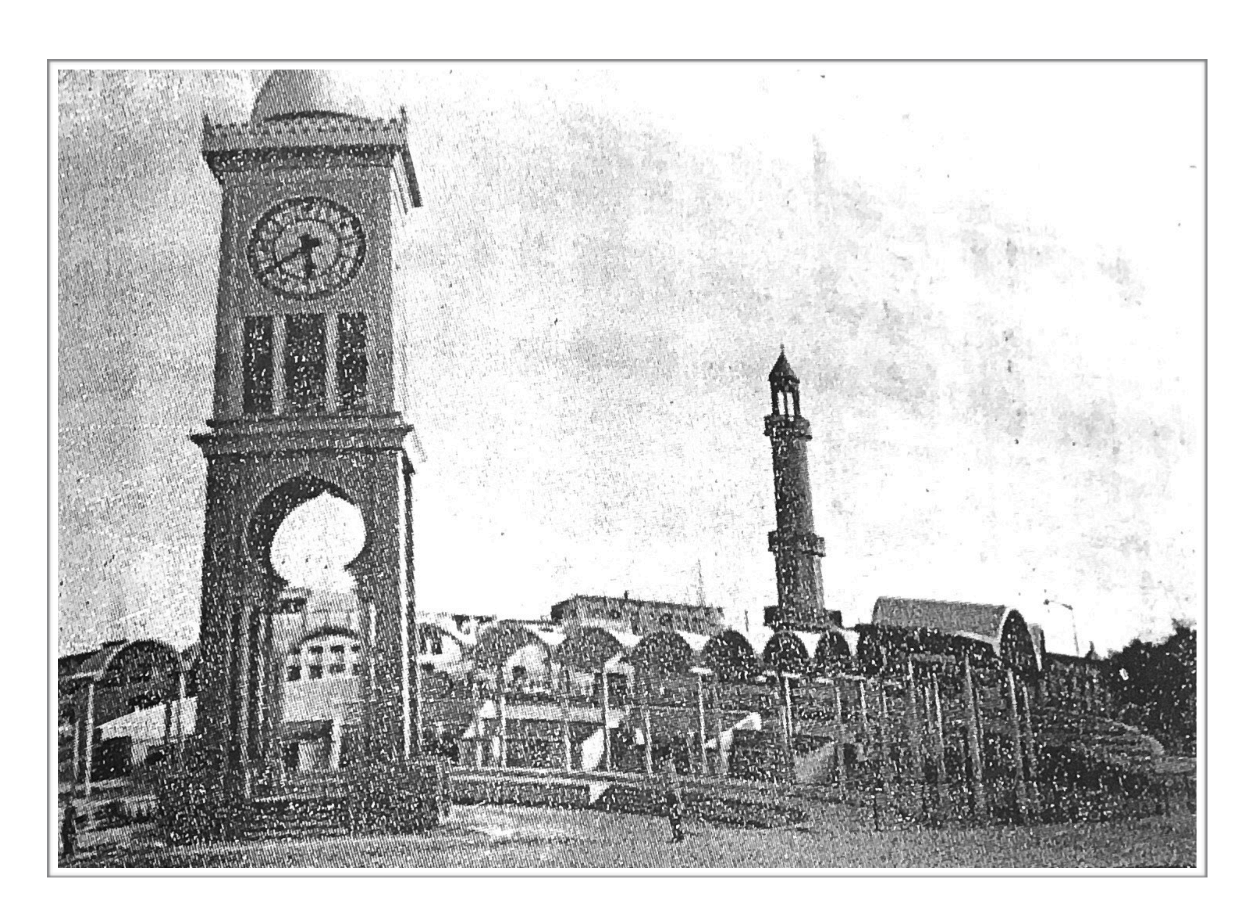
24 سلوى: وهي الآن الحد الذي يفصل بين المملكة العربية السعودية، وقطر.

25 قرية تقع جنوبي قطر.

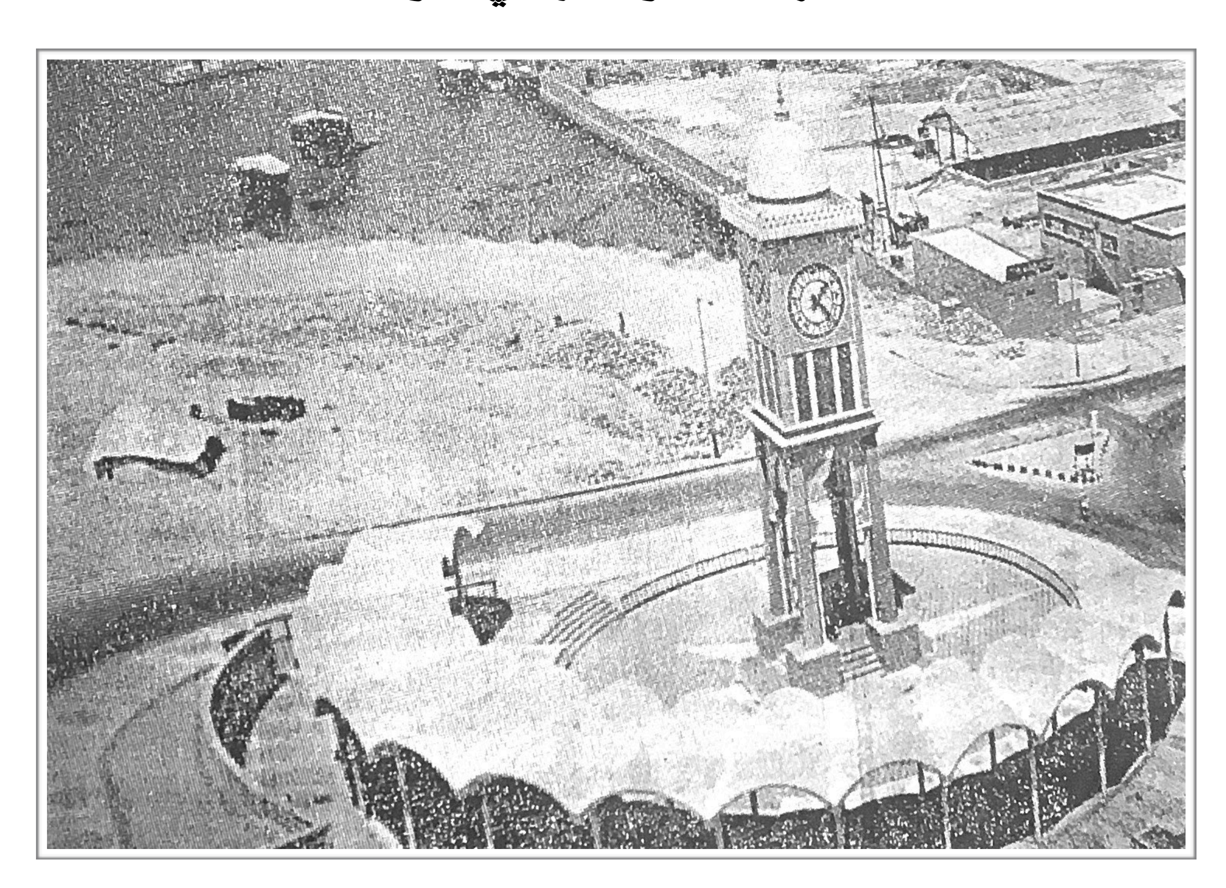
26 بلاد تقع شمال قطر.

27 سنذكر الزبارة بالتفصيل في الصفحات القادمة.

28 اعتمدنا في ذكر هذه الوقائع القطرية على مذكرات سمو الشيخ محمد بن أحمد آل ثاني حفظه الله. وهو أحد أقطاب أسرة آل ثاني الكرام، وشخصيته مرموقة له من الفضل والأدب والتقى وقوة الذاكرة ما يجعلنا نعتمد على صحة أقواله ورواياته، ولقد أقسم لي فضيلته قائلاً بالحرف الواحد ما يلي: «يا أستاذ أقسم بالله العظيم بأن مذكراتي هذه هي خالية من التحيز والتشويه واللف والدوران والكذب والبتهان، وإنها وقائع حدثت في تاريخ قطر، ولقد لعب فيها آل ثاني دورًا كبيراً في مضمار الحروب القطرية، وقد سجلتها ودونتها طلبًا للحقيقة والواقع سواء كانت لنا أو علينا، ولا أبتغي من ذلك إلا تبيان تاريخ قطر الصحيح الناصع، وحفظ كرامة البلاد العربية وسلامة الوقائع التاريخية، والأحداث القطرية التي قد شوه بعض الكتاب والمؤرخين حقائقها، وغرب وشرق في سرد وقائعها وحروبها عن قصد أو غير قصد، وإن بعض ما كتب ونشر عن حوادث قطر التاريخية هو مغاير للحقيقة والواقع ولا يعتمد على صحته، وإن ما سجلته أنا ودونته وذكرته لك هو الصحيح والواقع والله على ما أقول وكيل وهو حسبي ونعم النصير». كان هذا القسم والتصريح من فضيلة سمو الشيخ محمد بن أحمد آل ثاني هو الذي حفزني وجعلني أعتقد بصحة وحقيقة هذه المذكرات التي ننشرها للقارئ الكريم بأمانة وإخلاص كيف لا وإن صاحبها هو أحد الأفذاذ والشخصيات القطرية الذين ساهموا في بناء كيان الصرح القطري العتيد وأن أباه المرحوم سمو الشيخ أحمد بن محمد آل ثاني هو الذي لعب دوراً خطيراً في تاريخ قطر، وكان الساعد الأيمن لأخيه المرحوم سمو الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني كما سنذكره مفصلاً، وإني لفخور جداً بأن أكون أول من ألف عن هذه البقعة المباركة قطر، ونشر عنها الحقائق الناصعة سواءً في كتاب السابق «أعلام الخليج» أو كتابي هذا الذي كشفت فيه عن كثير من الغوامض التي تكتنف تلك الحوادث والوقائع التاريخية فيها خلافًا لما نشر عنها بعض المؤلفين والمؤرخين الذين استندوا إلى مؤلفاتهم إلى مصادر ومراجع وكتب محشوة بالأغلاط والملابسات التي يطعن في صحتها والتي لم يقصد منها سوى طمع وتشويه الحقائق القطرية خصوصًا الوقائع التاريخية منها، هذا والله أسأل أن يوفقني لإتمام ما تبقى من هذه الوقائع والأحداث القطرية في الجزء الثاني من كتابنا هذا، الذي سأكشف فيه من غوامض تاريخية أخرى ما زالت طي الكتمان والنسيان، وغير معروفة من المواطنين حتى المثقفين منهم، والله ولي التوفيق.



منظر الساعة والمنارة في الدوحة



منظر آخر من مناظر الدوحة

القبائل القطرية

إن جميع القبائل والعشائر القطرية التي تمرُّ على القارئ الكريم، هي بطبيعة الحال كانت ولا تزال كلها تخضع إلى آل ثاني الأسرة الحاكمة اليوم، وهي مؤلفة كالآتي: المعاضيد (رئيسهم: محمد بن ثاني)، والبوكوارة (رئيسهم: محمد بن سعيد)، والنعيم (رئيسهم: جبر بن ناصر)، السودان (رئيسهم: سالمين بن ناصر السويدي)، والعمامرة (رئيسهم: حسن بن مبارك)، والسلطة (رئيسهم: حسن بن بخيت) من تميم، والبوعينين (رئيسهم: جبران بن بحر، وراشد بن مبارك بن خاطر) بالوكرة، والمهاندة (رئيسهم: علي بن عبد العزيز) بالخور، وآل بن علي (رئيسهم: عيسى بن طريف)، والمنانعة (رئيسهم: عيسى بن حمد)[29]، وجميع هذه القبائل - كما مر سابقًا - تخضع لقبيلة واحدة، هي: قبيلة المعاضيد[30] ورئيسهم حينئذٍ محمد بن ثاني[31]، وهو من أبرز شيوخ القبائل القطرية والعربية فقد تميّز عليهم بالعطاء، والجود، والكرم، والنخوة، والشجاعة، والشهامة، والنبل، والشمم، وهو الزعيم العام والمسؤول عن جميع تلك القبائل القطرية، وله الأمر والنهي، والنفوذ والسلطان دون سواه.

وإليك أيها القارئ الكريم مفصّل تلك الوقائع والغزوات:

الزبارة[32]

الزبارة: اسم موضع على الساحل مقابل جزيرة البحرين من جهة الجنوب، وقد ولد بها «ثاني» الجد الأكبر لآل ثاني حكام قطر، وأول من عمرها، ونزل بها الشيخ أحمد بن رزق[33]، ورغب الناس في سكناها بكرمه وجوده؛ فأتتها العرب من كل فج ومكان، وأخذ الناس يتجرون في اللؤلؤ حتى صار أغلبهم تجاراً متمولين، ثم سكن فيها لفيف من قبائل القطريين، منهم: قبيلة آل بن علي، والجلاهمة، والمعاودة، وغيرهم من القطريين في الزبارة.

ففي القرن الثاني عشر للهجرة، كان محمد بن خليفة - وهو جد الخليفيين حكام البحرين الحاليين - قدم من الكويت مع أولاده الخمسة[34]، ونزل عند قبيلة آل ابن علي، وتزوج منهم، وكان على جانب عظيم من الجاه والثروة، وبعد مصاهرته من هذه القبيلة المذكورة (آل ابن علي)، قويت شوكته ونفوذه وسلطته، وقد عزز هذه

---

[29] ربما توجد هناك أسر في قطر، ولكن لم يكن لها شأن في تكوين التاريخ القطري.

[30] المعاضيد نسبةً إلى معضاد التميمي، والبوكوارة يجتمعون مع المعاضيد في مشرف بن معضاد التميمي.

[31] محمد بن ثاني هو الجد الأكبر للأسرة الحاكمة في قطر.

[32] الزبارة: خرائب بلدة كبيرة تقع جنوب العريش على الساحل القطري وتصلها مع طريق معبدة طولها نحو ١١٣ كيلو مترًا. كانت في الماضي من البلدان العربية العامرة، مزدهرة بثروتها وتجارة اللؤلؤ يقصدها العلماء والطلاب للانتساب إلى مدارسها، وكانت الزبارة قديمًا مسورة ومحصنة تحصينًا منيعًا، ولها ١٢ قلعة تقريبًا في دائرة يبلغ نصف قطرها سبعة أميال، وقال الآلوسي في تاريخه أن في نجد قرية تسمى أيضًا بهذا الاسم، وهي قريبة من الرياض وسكانها آل خامسة، وفي منطقة كلباء من ساحل عمان قرية متواضعة تعرف باسم الزبارة، فيها نحو ٢٠٠ نسمة. (تاريخ نجد للآلوسي).

[33] الشيخ أحمد بن رزق الخالدي النجدي، ارتحل من المنامة حوالي سنة ١٢٢١، ونزل الزبارة وعمرها وأراد أن يفصلها عن قطر بخليج يحفره بينها وبين البر طوله ثلاثون ميلاً ولكن قومه - وهم من أهل البادية - لم يرضوا ذلك لاحتياجهم إلى بر قطر الذي يجعلونه مرعى لأغنامهم - ملوك العرب لأمين الريحاني (٢/ ٢٤٠).

[34] وهم: خليفة، وأحمد، وعلي، ومقرن وإبراهيم.

السلطة والشوكة، سيرته الحسنة، وأخلاقه وكرمه، وجوده، وقضاء حوائج الناس من القبائل القطرية، وقد جعل له مقراً في «مرير»، وبنى له قصراً محصنًا هناك يسمى الآن «قلعة مرير»[35]، وهي قريبة من الزبارة، وكان أمراء قطر يومئذ آل مسلم[36] في بلدة الحويلة[37]، ولهم سلطة على أهل قطر عامّةً، وقد تلقوا إمارتهم من أجود بن زامل الخالديٍ أمير الأحساء حينذاك، وكان آل مسلم يأخذون خراجًا سنويًا من أهالي قطر حتى إن محمد بن خليفة كان يعطي الخراج في بادئ الأمر إلى آل مسلم كأي قبيلة قطرية أخرى ثم قويت شوكة محمد بن خليفة، واستحكم نفوذه بأهل قطر؛ فرفض أن يعطي الخراج إلى آل مسلم وتحصن في الزبارة بتلك القلعة العظيمة المذكورة آنفًا، وكان قد بناها في الطرف الشمالي من برّ قطر خصيصًا لهذه الغاية؛ فتخلص من إعطاء الخراج لآل مسلم ومن سلطتهم بهذه القلعة المسماة الآن «قلعة مرير» كما مرّ سابقًا، وقد أرّخوا بناءها بقولهم: «تمت بعز وعون الله حاميها»، وذلك في سنة ١١٨٢ هجرية، وقد جاء هذا التاريخ فالاً حسنًا على ما نالته تلك القلعة القطرية من المنعة والعزة، وكيف لا تكون كذلك وقد تمكن الشيخ محمد بن خليفة بواسطتها أن يتغلب على آل مسلم أمراء قطر حينذاك ويدحرهم، والذي تجدر الإشارة إليه هو أن هذه القلعة هي السبب الرئيس في صيرورة البحرين تحت نفوذ سلالة الشيخ محمد بن خليفة ذلك أن القلعة صارت نقطة تحول ووثوب للغزوات على البحرين في سبيل توطيد حكم آل خليفة هناك.

وقعة نصور سنة ١١٩٧هـ

بعد وفاة الشيخ محمد بن خليفة تاجر اللؤلؤ السياسي، قام في الأمر أكبر أبنائه الشيخ خليفة بن محمد الذي لم يرث من أبيه غير شيء من التقوى مزجه بشيء من الشعر، وقد حج سنة ١١٩٧هـ وتوفي في مكة؛ فخلفه في الحكم أخوه الشيخ أحمد الذي يلقب بالفاتح؛ فأخذ هذا يتعامل مع القطريين مثل أبيه معاملة حسنة ويعطيهم الرساميل والقروض للغوص من أجل اللؤلؤ والاتجار به، وكان الخليفيون يتعاملون بالغوص، ويتاجرون باللؤلؤ إلى الهند وغيرها، وليس عندهم طمع بالسلطة والسلطان.

وفي أثناء ذلك ذهب أناس من أهل الزبارة إلى جزيرة سترة[38] في البحرين للبيع والشراء؛ فحدثت حادثة ونزاع بين أهل الزبارة وأهل سترة أدى إلى قتل رجل من خدام آل خليفة يسمى «إسماعيل»؛ فغضب لذلك أهل الزبارة جميعًا، وأرسلوا إلى البحرين رجالاً مسلحين في سفينة صغيرة للأخذ بثأر صاحبهم المقتول؛ فساروا إلى سترة، وتقابلوا مع رهط القاتل وأنصاره، وتمكنوا من قتل غريمهم القاتل وقتلوا معهم خمسة أشخاص، ولم يقتل من أهل الزبارة أحد ورجعوا إلى قطر؛ فلما نظر أهل البحرين إلى هذه الواقعة عظمت عليهم المصيبة؛ فتجمهروا للحرب وغزوا قطر واستعانوا بحاكمهم الشيخ نصر آل مذكور؛ فجهز هذا لهم السفن وهي مشحونة بجيش عظيم، وتولى هو القيادة بنفسه ليثير النخوة والحماسة فيهم، وسار الكل نحو قطر حتى أرسو بسفنهم عند موضع

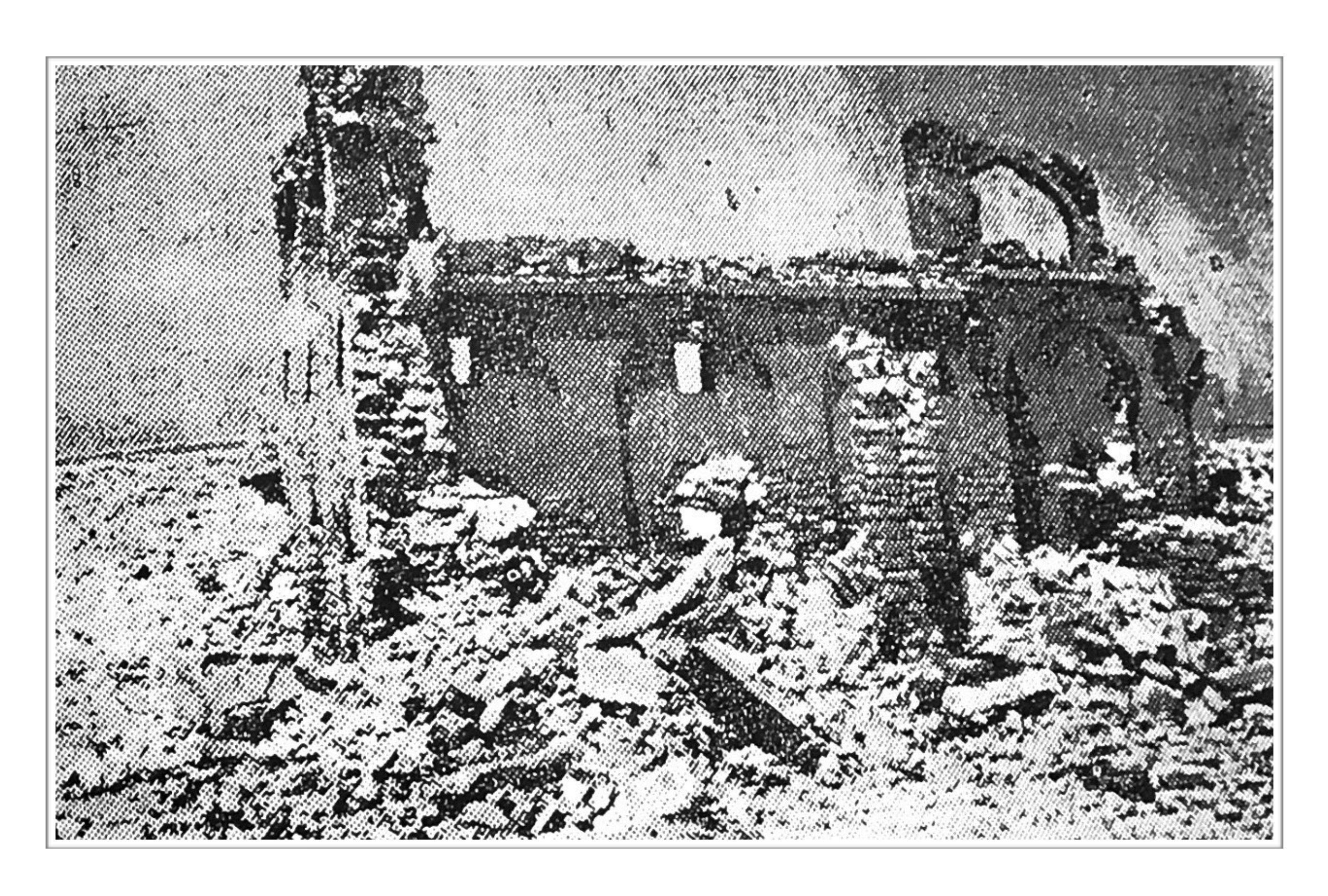
[35] انظر شكل إطلال قلعة مرير في الزبارة في صفحة ٢٩.

[36] آل مسلم: وهم ينتمون إلى الجبور البطن المشهور في بني خالد.

[37] سيأتي شرح بلدة الحويلة في الصفحات القادمة.

[38] سترة: جزيرة من جزر البحرين.

يقال له عشيرج[39]، وتقدموا من هناك على أرجلهم إلى الزبارة، وأحاطوا بها وحاصروها، وطلبوا منهم التسليم بدون قيد أو شرط؛ فأبوا الاستسلام والخضوع لأهل البحرين، وقرروا القتال ثم نشبت حرب ضروس بينهم حتى أشرف أهل البحرين على الانتصار؛ فبينما هم كذلك إذ أقبلت النجدة والفروغ من أهل فريحة[40] وهم فخيذة من قبيلة آل ابن علي؛ فدارت الدائرة على أهل البحرين، وانكسر جيشهم، وقتل حاكمهم «نصر الله ابن مذكور»، وكان الظفر والانتصار لأهل الزبارة، ومن ذلك اليوم صغّر أهل البحرين اسم الشيخ نصر، وسموه نصوراً، وتسمى هذه الواقعة «وقعة نصور»، وذلك في ١٨ جمادى الثانية عام ١١٩٧، وفي هذه المعركة تسلم آل أبي سلامة[41] السيف العائد للشيخ نصر الله آل مذكور، ومن بعد ذلك عاد السيف إلى الشيخ سلطان بن سلامة وظل أبناؤه وأحفاده من بعده يتلقفون هذا السيف، وفي عام ١٣٣٢ أهدي هذا السيف التاريخي إلى المرحوم المغفور له الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر.



إطلال قلعة مرير في قطر

[39] عشيرج: مشروحة: الصفحات القادمة.

[40] فريحة: قرية قرب الزبارة تسكنها فصيلة من قبيلة آل ابن علي.

[41] وهم قبيلة من آل ابن علي.

استيلاء القطريين على البحرين

كان لفشل الإيرانيين وانكسارهم وفرارهم إلى أبي شهر بعد قتل نصر الله خير محفزٍ إلى أهل الزبارة ومشجع على غزو البحرين؛ فجهزوا جيوشهم وغزوا البحرين واحتلوها، واستولوا عليها بدون مقاومة تذكر، وكان ذلك بقيادة أحمد بن محمد بن خليفة، وبعد احتلال البحرين من قبل القبائل القطرية، اتفقت هذه القبائل على تولية قائدهم أحمد بن محمد آل خليفة بأن يكون حاكمًا على البحرين؛ فكان ذلك ثم جعل للمعاضيد[42] والبوكوارة وغيرهم رواتب سنوية[43]، وأما باقي قبائل الزبارة وآل ابن علي؛ فقد قبلوا أن يأخذوا أرضًا بالبحرين لا زالوا عليها حتى الآن؛ فجاء تاريخ هذا الغزو في هذا القول: «أحمد صار في أوال خليفة» ١١٩٧هـ؛ فلله در هذا المؤرخ الذي جمع هذه المعاني في هذا التاريخ؛ فلقد ذكر الاسم والجد، واللقب، والحكم، ومآله، والإمارة، والموضع، والتاريخ.

وقعة الساية أو المحرق سنة ١٢٥٨هـ

بعد استيلاء آل خليفة على البحرين، هاجر إليها جميع قبائل الزبارة، ومنهم آل ابن علي معهم وسكنوا البحرين. أما قبائل قطر (أي المعاضيد والبوكوارة وغيرهم) رجعوا إلى أوطانهم بعد استيلاء آل خليفة على البحرين، وجعل آل خليفة للعشائر القطرية مقررات سنوية[44]، وكل رئيس عشيرة هو زعيم بلاده وأمر الجميع يرجع إلى حاكم البحرين؛ فاستقرت الحال على هذا المنوال ولم يجر بين أهل البحرين وأهل قطر شيء يعكر صفو العلاقات، واستمرت أحسن حال، حتى إذا دخلت سنة ١٢٥٨ اختلف الشيخ محمد بن خليفة مع عمه عبد الله بن أحمد وأولاده لأسباب عائلية، وصارت بينهم حروب طفيفة في البحرين، وكان عبد الله بن أحمد وأولاده في المحرق[45]، والشيخ محمد بن خليفة بن سلمان وأخوه علي في الرفاع[46]، وعلى أثر هذا الاختلاف انتقل الشيخ محمد بن خليفة من البحرين إلى قطر، وعزم من هناك على مناوأة عمه الشيخ عبد الله بن أحمد وأولاده، كما اتصل بالشيخ محمد بن ثاني بالفويرط[47]، وبين الأسباب التي حملته على الخروج من البحرين، وإن عمه قد كبر سنه، وصار الأمر بيد أولاده، وهم غير منصفين مع الرعية في بلادهم، وطلب من الشيخ محمد بن ثاني المساعدة على هذه المناوأات؛ فقال الشيخ محمد بن ثاني إن أهل قطر لا يسعهم أن يساعدوك على عمك وأولاده، ورفض مساعدته؛ فلما يئس الشيخ محمد بن خليفة من مساعدة أهل قطر مضى إلى نجد واتصل بحاكمها، وكان حينئذٍ حاكمها هو عبد الله ابن ثنيان آل سعود، وذلك في غياب فيصل بن تركي وهو معتقل في مصر؛ فطلب الشيخ محمد

---

[42] المعاضيد: هم المنتسبون إى معضاد من بني تميم، والبوكوارة فرع من بني تميم.

[43] سنشرح مقدار هذه الرواتب في الصفحات القادمة.

[44] أكثر هذه المقررات عشرة (جلات) تمر ومائتين قران وكسوة، وأقلها جلتين وخمسين قران وكسوة، والجلة تساوي ستة عشر قلة أي خصافة.

[45] المحرق: جزيرة مهمة من جزر البحرين، وفيها مطار البحرين الآن.

[46] الرفاع: في البحرين، وفيه مقر الحكم الآن.

[47] الفويرط: تقع على البحر، وفي الشمال الغربي من الدوحة عاصمة قطر اليوم، وعلى مسافة ٩٦ كليو مترًا منها.

بن خليفة من عبد الله بن ثنيان مساعدته بتجهيز جيش لمحاربة عمه الشيخ عبد الله آل خليفة، واشترط على نفسه أن يكون تحت تصرف آل سعود إن ظفر بالحكم في البحرين؛ فقال له الشيخ عبد الله بن ثنيان: «نحن لا يسعنا في هذا الوقت إرسال جيش معك، ولكن نمدك بالمال اللازم لتجهيز جيشك؛ لأنه بلغني أن فيصل بن تركي قد أطلق من اعتقاله وسيرجع إلى ملكه، وأنا في حالة حرب معه، وسأحتاج إلى الرجال والسلاح لمحاربته» ثم أعطاه أربعة أفراس وكتب له أربعة آلاف ريال على بيت مال الأحساء؛ فجهز الشيخ محمد بن خليفة له جيشًا وألفه بالدراهم، ورجع إلى الشيخ محمد بن ثاني بالفويرط، وكرر عليه طلب المساعدة والنجدة؛ فقال له الشيخ محمد بن ثاني: «امضِ إلى أهل قطر الشرقيين الذين هم في الخور وغيرهم؛ فإن ساعدوك؛ فنحن معهم»؛ فمضى ابن خليفة إلى أهل قطر الشرقيين، واتفق معهم وأجابوه بالمساعدة سوى سالمين بن ناصر رئيس عشيرة السودان أبى أن يساعده بحجة أن بينه وبين الشيخ عبد الله ابن خليفة عهد ولم يصدر شيء بينهم ينقض هذا العهد فإن كتب الله لك النصر في البحرين؛ فنحن نبايعك على السمع والطاعة؛ فعاد محمد بن خليفة إلى الفويرط، وكتب إلى الشيخ عيسى بن طريف رئيس قبيلة آل ابن علي وآل إبراهيم وهم إذ ذاك في جزيرة قيس في فارس؛ لأنهم غادروا البحرين إلى قيس؛ لأسباب عدائية جرت بينهم وبين الشيخ عبد الله بن أحمد وأولاده؛ فلم تكن إلا أيام قلائل إلا وطلائع عشيرة آل ابن علي قد وصلت يقدمهم رئيسهم الشيخ عيسى بن طريف وآل إبراهيم ومعهم الجلاهمة يقدمهم بشر بن ارحمه، وجاؤوا بسفنهم وقواتهم ورجالهم إلى الشيخ محمد بن خليفة في قطر ثم أنهم اتفقوا على غزو البحرين باسم الشيخ محمد بن خليفة؛ فسارت الجيوش إلى البحرين، ونزلوا على ساحل المحرق عند ينبوع ماء عذب في البحر يسمى «الساية» وبه سميت هذه الوقعة، وكان الشيخ عبد الله ابن خليفة[48] في المحرق؛ فأمر الشيخ محمد بن خليفة قومه بأن يفرقوا جميع سفنهم هناك، وذلك لئلا يتخذوها ملجأ لهم؛ فتحدثهم أنفسهم بالفرار عند المضايقة، ولما انتهت الواقعة عادوا إليها؛ فأخرجوها؛ فبرز لهم الشيخ عبد الله بقومه ورجاله، وجرت مناوشات ومعارك أسفرت عن انكسار جيش الشيخ عبد الله؛ فتحصن هو وبعض رجاله في قلعة أبي ماهر الكائنة في جنوب المحرق، واعتصم بعض أبنائه في قلعة مراد؛ فلم يتعرضهم الشيخ محمد بل جعل يثبت أموره في داخل البلدة.

ثم أرسل الشيخ محمد بن خليفة (الفاتح) إلى عمه الشيخ عبد الله وأولاده بأن يخرجوا من حصونهم، ولهم جميع ما يملكون من الأموال، وأعطاهم الأمان؛ فخرجوا من قصورهم، وأخذوا جميع ما يريدون من السفن والمال ثم غادروا البحرين، وبذلك تمّ الاستيلاء للشيخ محمد بن خليفة على البحرين وبايعه الجميع على السمع والطاعة؛ فعدل بين الرعية، وزاد الرواتب، وعامل الناس بالإكرام، ووفر لهم العطاء، وبعد هذه الحادثة، رجع آل ابن علي من جزيرة قيس إلى قطر، وألزم الحاكم الجديد سالمين بن ناصر أن يرحل مع عشيرته بلاده (البدع) في قطر انتقامًا منهم ونكاية بهم، وضيق الخناق عليهم بالرحيل والخروج من أراضي قطر؛ فعند ذلك رحلوا إلى شناص من بلاد فارس، وحل الشيخ عيسى بن طريف وعشيرته آل ابن علي في مكانهم (البدع)، ولقد أرّخوا هذه الواقعة بهذه العبارة: «شرٌّ نحر شر»، وتسمى «وقعة المحرق» أو «السابة».

48 حكم الشيخ عبد الله بن أحمد بن خليفة في البحرين اثنتين وعشرين سنة، قضى جلها في قمع الفتن وخلفه في الحكم محمد بن خليفة بن سلمان الذي كان السبب في انقسام آل خليفة إلى حزبين، حزب آل عبد الله، وحزب آل سلمان، وهذا الشقاق بما نشأ عنه من الفتن والحروب أدى بالنتيجة إلى تدخل الإنجليز.

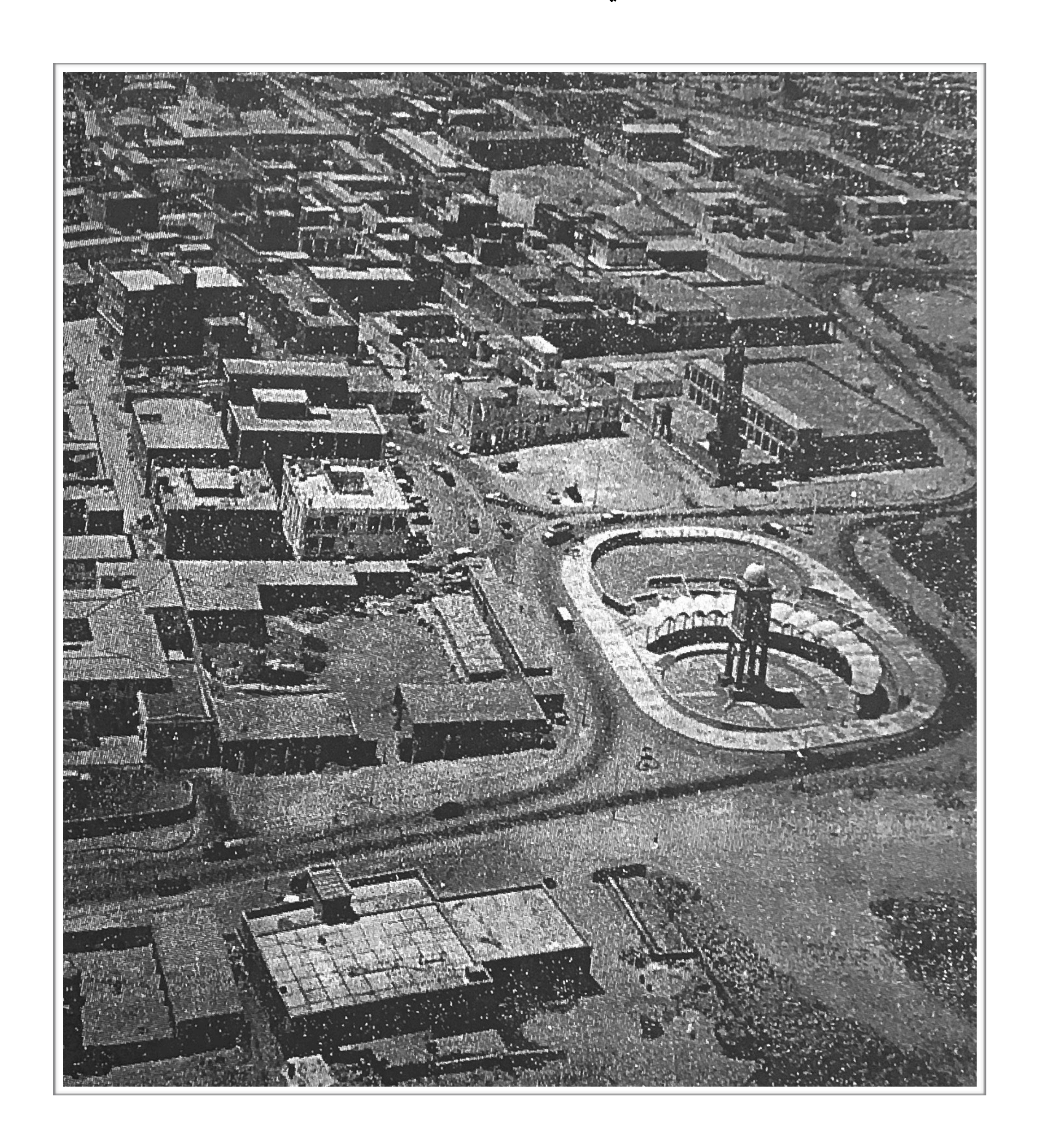
مقتل عيسى بن طريف أو خراب الدوحة الأول[49] وقعة أم سوية سنة ١٢٦٤هـ

استقر الشيخ عيسى بن طريف مع عشيرته آل ابن علي في البدع من قطر بأمر من الشيخ محمد بن خليفة ؛ لأن الأخير أراد بذلك أن يبعد خطر أولاد عمه الشيخ عبد الله عن قطر بمساعدة آل ابن علي . أما أولاد الشيخ عبد الله آل خليفة فقد ذهبوا بعد واقعة المحرق إلى الإمام فيصل بن تركي الذي رجع إلى ملكه في نجد ؛ فأسكنهم فيصل بن تركي في الدمام ، ورتب لهم مرتبات شهرية ، وبعد بضع سنوات جاء أولاد الشيخ عبد الله آل خليفة من الدمام للسلام على خالهم الشيخ عيسى بن طريف ، وذلك بعد وفاة أبيهم بثلاث سنين ، وشكوا الحال له من الضيق والفاقة ، والبعد والفرقة ، وغدر الزمان بهم ، ثم طلبوا من خالهم الشيخ عيسى أن يتوسط بينهم وبين ابن عمهم الشيخ محمد بن خليفة بإرجاعهم إلى وطنهم ، وإرجاع أملاكهم وأموالهم في البحرين إليهم ، ويعاهدوه على السمع والطاعة ، ويكون هو الضامن لهم ، والشاهد عليهم بهذا الأمر ؛ فرق لهم الشيخ عيسى بن طريف ، وأجابهم بالتوسط لهم ومساعدتهم بأي ثمن كان ؛ فكتب الشيخ عيسى بن طريف إلى الشيخ محمد بن خليفة يخبره بالحالة التي وصلوا إليها أولاد عمه ، وطلب منه الرأفة بهم ، وإجراء الصلح معهم ، ويأخذ له البيعة على السمع والطاعة منهم ، ويرجعهم إلى البحرين ، ويعطيهم ما تبقى من أملاكهم ، والتمس منه تنفيذ هذا الأمر ، ولكن الشيخ محمد (حاكم البحرين) رغم كل هذه الالتماسات لم يعد أذنًا مصيغة لهذا الطلب ، ولم يعره أي اهتمام ؛ فكتب إلى الشيخ عيسى يرجوه أن يسد هذا الموضوع ، ولا يفتح هذا الباب ؛ فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عيسى غضب غضبًا شديدًا ، وأرسل إخطارًا إلى حاكم البحرين ، وأغلظ فيه القول ربما جاء فيه أنه : «يلزم عليكم أن تردوا أملاك الشيخ مبارك بن الشيخ عبد الله المنهوبة وإلا شققت شقًا لا يرفى» ؛ فعلم الشيخ محمد حاكم البحرين مرمى كلامه ، وعلم أن ذلك يعني إعلان الحرب ؛ فأرسل الكتاب مع الرسول إلى أخيه الشيخ علي بن خليفة ، وهو إذ ذاك في المنامة ؛ ليستطلع رأيه ؛ فقال الشيخ علي بن خليفة لرسول الشيخ عيسى بن طريف قل لصاحبك : «إن الدم هو الذي يرفو هذا الشق» ثم توترت الحالة بينهما ، وجعل كل من الطرفين يستعد للحرب ؛ فأرسل الشيخ عيسى بن طريف إلى الشيخ مبارك بن عبد الله آل خليفة بالدمام ، وجلب معه أناسًا من بني هاجر ؛ فجاء الجميع ووصلوا إلى قطر في البدع مقر الشيخ عيسى ، وكان الشيخ عيسى قد ألف جيشًا من البدو ، والمناصير ، والبوكوارة ، وأما الشيخ محمد بن خليفة وأخوه الشيخ علي قد جهزا جيشًا ونزلا في الذخيرة[50] من أرض قطر ؛ فبقي الشيخ علي مع الجيش ، ومضى أخوه الشيخ محمد إلى قبيلة النعيم ورئيسهم جبر ابن ناصر يستنجدهم على الشيخ عيسى بن طريف وقومه آل ابن علي ؛ فلبوا طلبه ، وساروا مع الشيخ محمد بأموالهم ونسائهم ونزلوا بـ«أم سوية» ؛ فظهر الشيخ علي بن خليفة من الذخيرة ، واجتمع مع أخيه وجنوده في أم سوية ؛ فلما صار اليوم الثاني ؛ فاجأهم الشيخ عيسى بن طريف وجنوده ، والتحم القتال بينهم ، وأسفرت الحادثة عن انكسار الشيخ محمد بن خليفة وأخيه الشيخ علي ، وكان النصر إلى الشيخ عيسى بن طريف ، ولكن هذا النصر لم يدم إلا ساعات قلائل إذ إنه وقع الشيخ عيسى بن طريف بطلقة أردته

[49] خراب الدوحة الثاني مفصل في الصفحات التالية .

[50] سنشرحها في الصفحات القادمة .

قتيلاً ، وعند ذلك دارت الدائرة على آل ابن علي بعد قتل رئيسهم وزعيمهم ، ورجع الشيخ محمد بن خليفة إلى البحرين ، ورجع أخوه الشيخ علي بأسطوله البحري إلى البدع من قطر ، وحتم على قبيلة آل ابن علي أن يرحلوا من البدع إلى البحرين ، وتسمى هذه الوقعة «وقعة أم سوية» أو «خراب الدوحة الأوّل» ؛ لأن بلدة الدوحة هي مسكن الشيخ عيسى بن طريف[51] ؛ فكأنها خربت بمقتله في سنة ١٢٦٤ .



منظر الدوحة من الجو

[51] عيسى بن طريف هو الذي فتح بمباسة من جنوب أفريقيا مع عشيرته آل ابن علي مساعدة منه لحاكم مسقط وزنجبار سعيد بن سلطان آل أبي سعيد .

نزول محمد بن ثاني الدوحة سنة ١٢٦٤هـ

في أواخر سنة ١٢٦٤ بعد مقتل عيسى بن طريف، وجلاء آل ابن علي من البدع إلى البحرين، كتب الشيخ محمد بن خليفة إلى الشيخ سالمين بن ناصر رئيس قبيلة السودان في شناص[52] من فارس، وأرسل إليه يستقدمه إلى البحرين؛ فلما وصل الكتاب إلى سالمين توجه إلى البحرين، واجتمع مع الشيخ محمد بن خليفة؛ فقال ابن خليفة: «لقد حدثت بعض الحوادث بيننا؛ فأدت إلى سوء التفاهم في الماضي، أما الآن فقد ذهبت الحزازات والعداوات بيننا، وهذا الوطن وطنكم، والبلد بلدكم، وأطلب أن ترجعوا إليه، ونحن نقوم بأداء واجباتكم خير قيام؛ فعند ذلك رجع سالمين ابن ناصر مع عشيرته السودان إلى البدع في أرض قطر، وفي آخر هذه السنة المذكور، ارتحل الشيخ محمد بن ثاني من الفويرط، ونزل في الدوحة عاصمة قطر اليوم.

غزو الإمام فيصل بن تركي آل سعود قطر سنة ١٢٦٥هـ

في سنة ١٢٦٥هـ، غزا الإمام فيصل بن تركي آل سعود قطر، ولما سمع آل خليفة بقدومه لغزو قطر، أرسلوا كتابًا إلى الشيخ محمد بن ثاني، وإلى جبر بن ناصر رئيس قبيلة النعيم، وأعلموهم بأن الإمام فيصل اتجه من الرياض قاصدًا غزو قطر، ويجب عليكم الصمود في وجهه ومحاربته؛ فلما علم أهل قطر بالأمر اجتمعوا بعدّهم وعديدهم بالمزروعة[53] من أرض قطر، ثم أقبل الشيخ قاسم بن ثاني من الدوحة إلى المزروعة للتفاهم مع قبيلة النعيم؛ فاتفق معهم على محاربة الإمام فيصل، وتعاهدوا على ذلك، وجرى استعراض الجيش في المزروعة، وبعد صلاة العصر رجع الشيخ قاسم إلى الدوحة، وعند رجوعه، اختلف النعيم فيما بينهم، وقالوا لرئيسهم جبر بن ناصر: «نحن لا نتمكن على محاربة الإمام فيصل خصوصًا، ونحن أهل إبل وبادية، ولا نأمن من جيوش الإمام البدو أن تغير علينا بين حين وآخر وتنهب أموالنا ومواشينا»، ثم اتفقوا على مصالحة الإمام فيصل وركب رئيسهم جبر ابن ناصر لمواجهته والمفاوضة معه بالصلح؛ فاجتمع وفد الصلح مع الإمام فيصل بالعريق[54]، واتفقوا على الصلح؛ فأعطاهم الإمام العفو والأمان، وجميع طلباتهم بشرط أن يرحلوا من المزروعة إلى وجه الزبارة.

وقعة مسيمير سنة ١٢٦٧هـ

وصل الإمام فيصل بن تركي آل سعود إلى مسيمير من أرض قطر، وقبل وصوله إليها، وصلت قوات البحرين بقيادة الشيخ علي بن خليفة، ونزلوا البدع، وجرت المحاربة بين الإمام فيصل من جهة، وبين الشيخ علي آل خليفة والشيخ قاسم ابن ثاني من جهة أخرى؛ فبرز الشيخ قاسم بجموعه وراياته في وجه الدوحة، والشيخ علي آل خليفة برز برجاله وجيشه عند جبل البدع المعروف في قطر، وجعل الجيشان يترامون بالرصاص مع جيش الإمام فيصل على البعد، ولم يحصل اشتباك بين الطرفين في اليوم الأول سوى المناوشات والرمي على البعد؛ فلما كان

[52] شناص: بلدة تقع على ساحل الخليج الفارسي.

[53] المزروعة: هي الآن روضة تقع على مسافة ثلاثة كيلومترات من أم صلال محمد، وبها بستان لحاكم قطر الشيخ أحمد بن علي آل ثاني.

[54] العريق: من أرض قطر تقع في القرب من سلوى على الحدود السعودية.

اليوم الثاني، زحفت جيوش الشيخ قاسم نحو جيش الإمام فيصل، واشتبكوا بالسلاح والخيل والرجال مع بعضهم البعض، وأسفرت الواقعة عن قتل رجال من أصحاب الإمام، ويسمى مساعد العتيبي، وقتلت أيضًا فرسه، وكان القاتل له الشيخ قاسم، ولما كان اليوم الثالث صباحًا، كرّ جيش الإمام خيلاً ورجالاً وحملوا على جيش الشيخ قاسم، وتراموا بالرصاص ثم انسحبوا إلى معسكرهم في مسيمير؛ فاجتمع كبار شخصيات أصحاب الإمام فيصل، وأشاروا عليه بالانسحاب، وعدم محاربة القطريين في هذا الوقت؛ لأن الحر شديد وغير ملائم للحرب؛ فانصاع الإمام لأمرهم وقبل استشارتهم، وقفل راجعًا في طريقه إلى الرياض.

وقوع الصلح بين الإمام فيصل آل سعود وبين الشيخ محمد بن ثاني

علم أهل قطر بارتحال الإمام، وانسحابه عنهم؛ فمضى الشيخ محمد بن ثاني إلى الشيخ علي بن خليفة، وقال له: إن الإمام فيصلاً قد انسحب ولم يحصل بيننا وبينه صلح، ونحن لا نأمن من رجوعه لغزو قطر مرة أخرى بعد أن يستجمع قواه، ويعزز جيوشه خصوصًا ونحن أهل غوص، ونخشى إذا مضينا إلى الغوص ودخلنا البحر تكر علينا أتباعه، وينهبون حلالنا وأموالنا كما وإن جيشكم سيمضي إلى البحرين؛ فمن هو - يا ترى - الذي يدافع بغيابنا عن أهلينا وأموالنا ووطننا؟ ولكنني أشير عليك برأيي. ما هو رأيك؟ رأيي أن نصالح الإمام فيصلاً حتى نأمن من شروره وهجماته. غضب الشيخ علي آل خليفة غضبًا شديدًا ولم يرقه هذا الرأي بل التفت إلى الشيخ محمد بن ثاني، وقال له: إذا كان هذا رأيك؛ فأنت إذًا خائن لنا، ونحن لا نقبل برأيك، ولم نصالح الإمام؛ فقال الشيخ محمد بن ثاني: إذا لم تتصالحوا مع الإمام؛ فاعلموا بأننا سوف نصالحه.

غادر الشيخ علي آل خليفة قطر بجيشه إلى البحرين غاضبًا بعد أن اتهم الشيخ محمد بن ثاني بالخيانة معه؛ فكتب الشيخ محمد بن ثاني إلى الإمام فيصل يسترضيه، ويطلب منه العفو والصلح؛ فوصل كتاب الشيخ محمد إلى الإمام، وهو بالقرب من سلوى؛ فلما قرأ الكتاب وعلم بالأمر قفل راجعًا إلى مسيمير ونزل بها، وأقبل الشيخ محمد بن ثاني إلى مسيمير أيضًا، واجتمع بالإمام، وجرى بينهما الصلح على الدخول في السمع والطاعة للإمام فيصل.

نهاية وقعة مسيمير

أمر الإمام فيصل الشيخ محمد بن ثاني أن يجهز له السفن، وتكون على استعداد؛ فجهزت السفن بالماء والزاد، وكتب الإمام إلى بشر بن رحمة - رئيس عشيرة الجلاهمة - وكان حينذاك في جزيرة قيس في فارس، وطلب منه التوجه إليه برجاله وجيشه؛ فلبى بشر بن رحمة طلب الإمام وتوجه بسفينتين مشحونتين بالرجال والسلاح إلى بندر الدوحة في قطر؛ فلما علم الخليفيون بهذه الحركة، وأن الأمر مبيت لمهاجمتهم وغزوهم تجهزوا واستعدوا بدورهم لصد هذا الهجوم المتوقع، هجوم الإمام، ثم أمر الإمام الشيخ مبارك بن عبد الله آل خليفة الذي كان مع الإمام ومعه مائتان من رجاله؛ فركبوا في سفن أهل قطر التي قد تهيأت من قبل - كما ذكرنا - ثم إن الإمام أمر بشر بن رحمة أن يسير بقيادة الشيخ مبارك بن عبد الله آل خليفة المذكور لغزو البحرين؛ فسار الجميع حتى أشرفوا على البحرين؛ فاستقبلتهم سفن آل خليفة في وجه البحرين، والتحم الطرفان بالقتال، واقتتلوا قتالاً شديدًا، وأسفرت

المعركة عن قتل مبارك بن عبد الله آل خليفة وأخيه راشد، ومربط من بني هاجر، وبشر بن رحمة الجلاهمة، ودارت الدائرة عليهم، وتسمى هذه الواقعة «وقعة مسيمير» في سنة ١٢٦٧هـ.

حصار الدوحة وصلح آل خليفة مع الإمام فيصل

لم يرق لآل خليفة صلح الشيخ محمد بن ثاني مع الإمام فيصل؛ فأخذوا يفكرون في غزو قطر؛ فكتبوا إلى سعيد بن طحنون الفلاحي – حاكم أبو ظبي – يستنجدونه على محاربة الإمام فيصل؛ فلبى سعيد بن طحنون طلبهم، وتوجه بجيشه، وتلاقى جيش البحرين معهم، وعقدوا العزم على غزو قطر، ثم مهدوا لهذا الغزو بالحصار على أهل قطر؛ فوصلت الجيوش عند مدخل الدوحة، وحاصروا الدوحة حصاراً بحريًا حتى إنه لم تتمكن أي سفينة أن تصل إليها بواسطة ذلك الحصار؛ فجعل الإمام يموّن الدوحة وأهلها من الأحساء، ومكث الحصار مدةً، وعند كل صباح ينزل الغزاة بالزوارق عند شاطئ الدوحة لمناوشة أهل الدوحة بالنار والرصاص غير أن الغزاة لا يجسرون على مهاجمة الدوحة بالنظر لمرابطة جيوش الإمام هناك؛ فلما طال المكث على الغزاة، أشار الشيخ سعيد بن طحنون على الشيخ علي بن خليفة بالصلح مع الإمام فيصل نظراً لأن الوقت قائظ وشديد الحرارة، وليس لهم طاقة على مواصلة الحصار؛ فقال له: إن الإمام سوف يواصل الهجمات تلو الهجمات ولا داعي لمعاداته ومحاربته؛ فالصلح أولى لكم معه، ووافق الشيخ علي بن خليفة على هذا الرأي، ورضخ للأمر الواقع، وطلب من الشيخ سعيد بن طحنون أن يتوسط الصلح مع الإمام؛ فأرسل الشيخ سعيد بن طحنون إلى الإمام يطلب معه المفاوضة في مهمة الصلح، ثم أقبل ونزل في رأس أبو عبود ومعه رجلين من الخليفيين؛ فرحب الإمام فيصل بهذه البادرة، وأرسل لهم أخاه الشيخ جلوي، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، والشيخ أحمد السديري على ثلاثة أفراس؛ فأعطوا الأفراس إلى الشيخ سعيد بن طحنون وصاحبيه، وركب الوفد السعودي في الزورق إلى مركب الشيخ علي آل خليفة.

فلما وصل الشيخ سعيد إلى الإمام، سلم عليه وقال له: لقد جئتك يا إمام المسلمين في أمر لله فيه رضا، وللمسلمين فيه خير وصلاح، وأنت اليوم الأب الكبير على المسلمين، ويجب أن تأخذك الرقة والرأفة والرحمة على أولادك، وهؤلاء آل خليفة يظهرون الولاء والطاعة لكم، وليس لديهم أي خلاف معكم، وقد جئنا نطلب الصلح منكم مع أهل البحرين؛ فإن قبلت – أيها الإمام – بذلك فإني سأفرض عليهم لكم خراجًا يكون مقداره أربعة آلاف ريال فرنسي[55] سنويًا على أن تكون قطر تابعة للبحرين في هذا الخراج؛ فقال الإمام: نحن نوافقكم بالصلح على ذلك، ولكن اشترط عليك شرطًا فإن قبلته سأجعل لك ألف ريال سنويًا من بيت مال القطيف؛ فما هو هذا الشرط أيها الإمام؟ الشرط هو أن تساعدنا إذا أردنا غزو عمان، وتكون معنا بجيشك في هذا الغزو؛ فقبل الشيخ سعيد بهذه المساومة، وتم الصلح بهذه الكيفية.

[55] الريال الفرنسي في هذا اليوم يساوي ثلاثة روبيات قطرية.

غزو الإمام فيصل لعمان

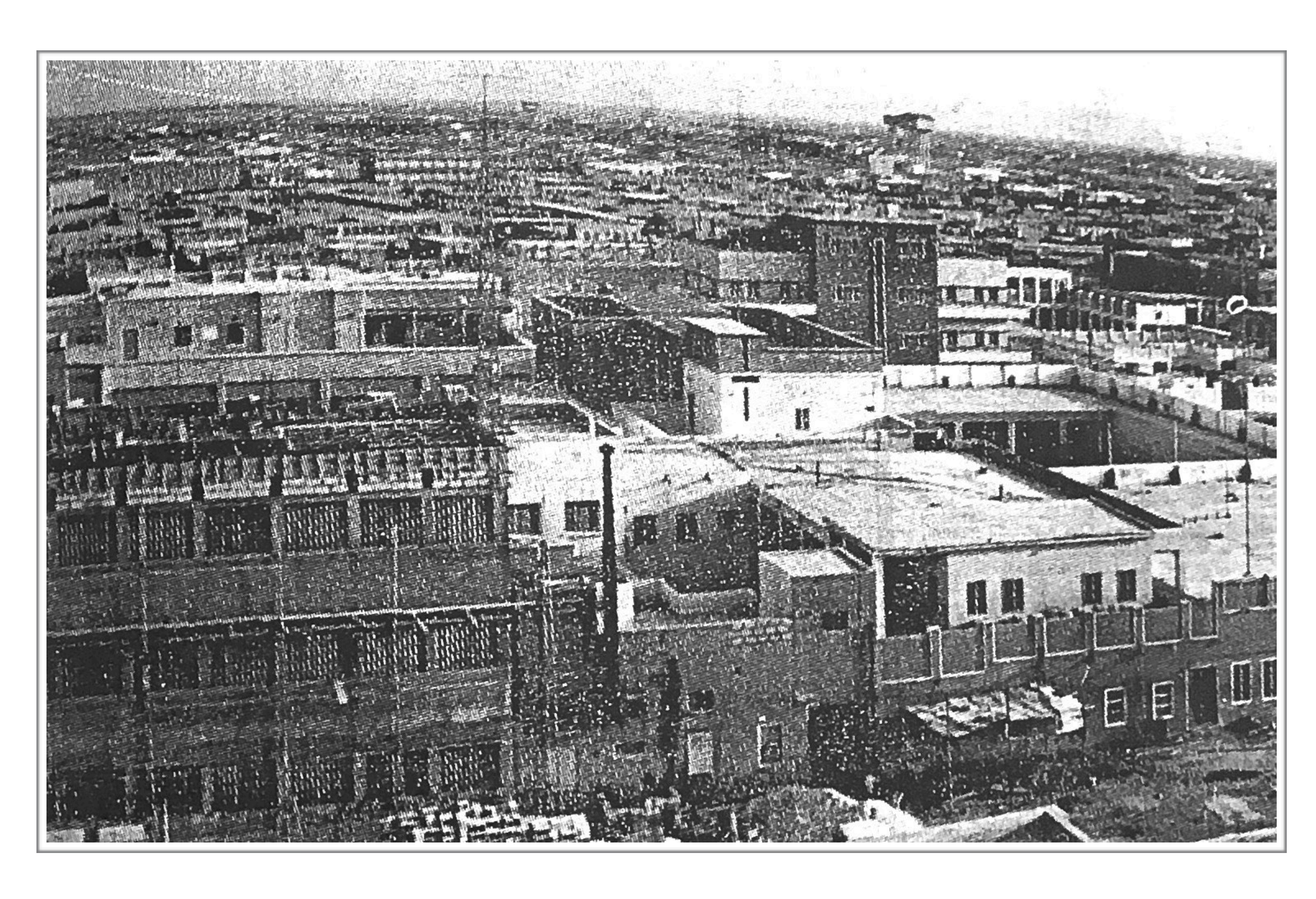
بعد مرور أربعة أشهر من واقعة الصلح بين آل خليفة والإمام فيصل في سنة ١٢٦٧هـ، توجه عبد الله بن الإمام فيصل بن تركي بجيشه لغزو عمان، وقبل أن يصل عبد الله إلى البريمي بمسيرة أربعة أيام، التحقت به طلائع جيش الشيخ سعيد بن طحنون، ثم اجتمع الجيشان، وغزوا البريمي، وفتحوها وأظهر أهلها الطاعة للإمام فيصل، وتصالح أيضًا سلطان مسقط مع الإمام بإعطائه خراجًا قدره اثنا عشر ألف ريال في السنة بشرط أن يبقى سلطانًا على ملكه في مسقط.

فندق الدرويش الحديث في رأس أبو عبود

نموذج من النهضة العمرانية في قطر

وقعة الوكرة سنة ١٢٨٣هـ

تغيرت نفوس آل خليفة على آل ثاني وأهل قطر بعد صلح الإمام فيصل مع آل خليفة، وادعوا أن استرداد قطر من الإمام جرى بالمساومة والأجرة، ثم جعلوا أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة عاملاً من قبلهم على قطر، ولم يزالوا آمنين بتوليته على قطر، وقد تزوج هذا أخيراً بنت الشيخ محمد بن ثاني، وكان المذكور أحمد سيئ الخلق، شرس الطباع، متكبرًا، حقودًا، حسودًا، شريرًا، ولا يرى أي قيمة لأي إنسان من القطريين غير الزعماء منهم كأمثال محمد بن ثاني وولده الشيخ قاسم؛ فلما رأى القطريون معاملته معهم، أظهروا الجفاء له، وعدم المسالمة، ولما رأى أنهم غير راضين بتوليته غير مبالين إليه لسوء تصرفاته مع الرعايا، انتقل من الدوحة إلى الوكرة، وأبقى زوجته بنت الشيخ محمد بن ثاني في مكانها (الدوحة)، وجعل مقره في الوكرة في قلعة محمد بن سعيد البوكوارة، وصار يتردد على الدوحة أسبوعيًا أو بين حين وآخر؛ فاستمرت الحالة على هذا إلى أن حلت سنة ١٢٨٣هـ، وهي هذه السنة المذكورة نزل فريق من قبيلة النعيم، وفيهم رئيسهم ناصر بن جبر وأخوه راشد بن جبر، وكانوا يومئذ يعاملون الوكرة، ومنها يدخلون البحر للغوص؛ فدخلت قافلة يومًا من قوافل النعيم إلى سوق الوكرة للبيع والشراء؛ فأتوهم خدام أحمد بن خليفة يغتصبون منهم أمتعتهم وأموالهم بدون حق؛ فلما اعترضوا على هذا الاعتداء ضربوهم بقسوة؛ فمضى رئيسهم علي بن ثامر إلى الشيخ أحمد آل خليفة واشتكى عنده، وأغلظ معه الكلام؛ فما كان من الوالي الشيخ أحمد إلا أن أمر بحبسه واعتقاله؛ فلما رأى قومه ذلك ركبوا إبلهم، ومضوا لأصحابهم القاطنين في مسيمير؛ فأخبروهم بالواقعة وأن رئيسهم علي بن ثامر مسجون؛ فهاج رؤساء عشيرة النعيم، وركبوا إلى الشيخ قاسم بن ثاني بالدوحة، ودخلوا عليه يبكون ويصرخون ويستنجدونه على هذا الاعتداء والظلم الصارخ؛ فلبى الشيخ قاسم طلبهم ووعدهم بأن زعيمهم علي بن ثامر سوف يطلق من السجن هذا اليوم، واشترط عليهم أن يعاهدوه على صفاء السريرة، وخلوص النية، ووحدة الكلمة؛ فعاهدوه؛ فأمر الشيخ قاسم بنشر رايته وركزها في خارج الدوحة، وأمر جميع أهل بلده وقومه بالنفير العام؛ فاجتمعوا خارج البلد، وبعد صلاة الظهر ساروا بجموعهم نحو الوكرة؛ فما صار وقت صلاة العصر إلا والحشود، والرايات تخفق على أبواب الوكرة؛ فلما نظر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة إلى هذه الجيوش المقبلة لم يعط صبراً؛ فلجأ إلى حصن القلعة، وجمع أهله وعياله في سفينتين ثم هرب، ودخل الشيخ قاسم القلعة، وكسر السجن، وأخرج علي بن ثامر، وأخذ الأعراب كل ذي حق حقه من أموالهم، وأمتعتهم المنهوبة، ثم رجع الشيخ قاسم إلى الدوحة ورجع النعيم مقرهم في مسيمير.



منظر عاصمة قطر (الدوحة)

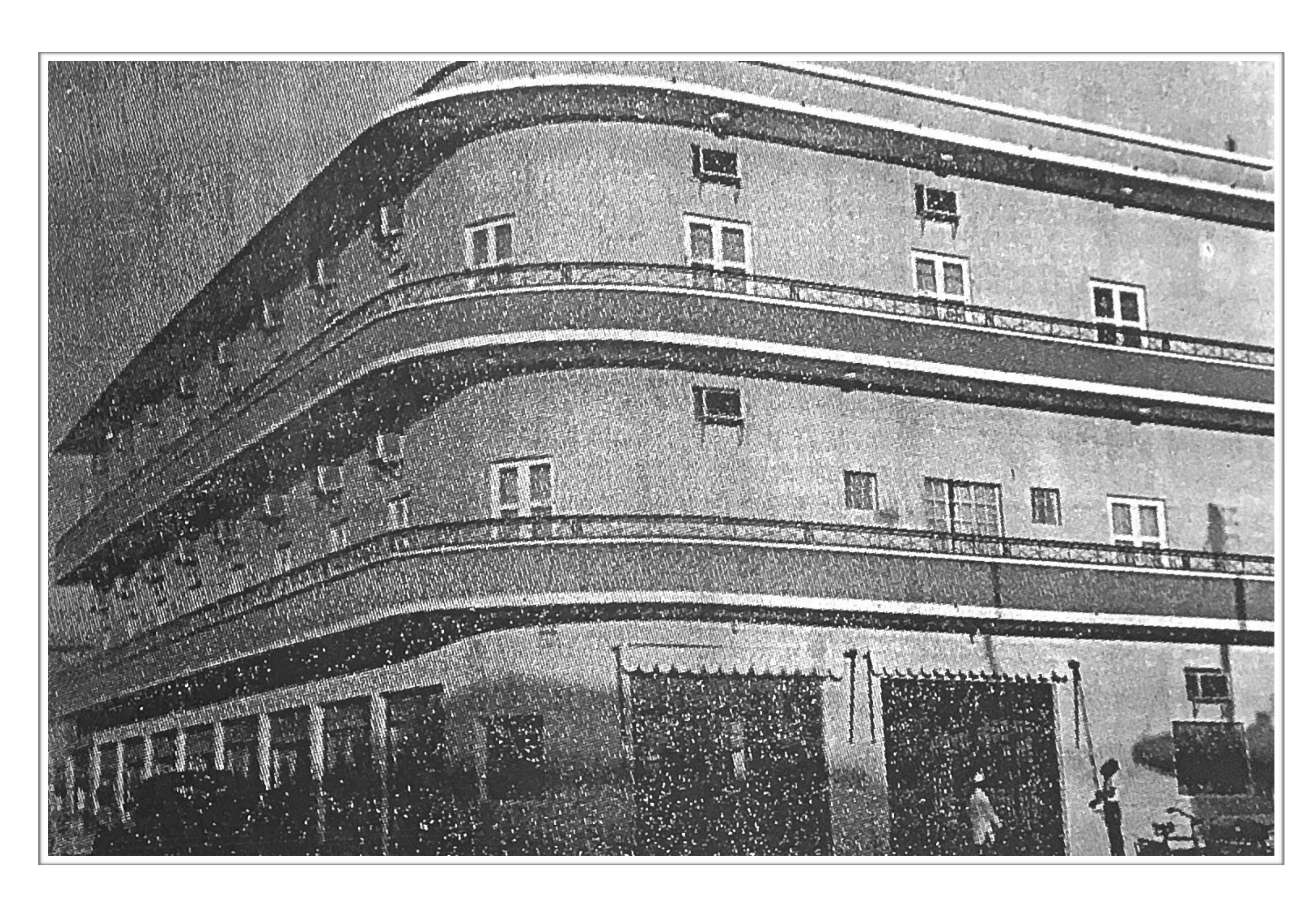
سجن الشيخ قاسم بن ثاني في البحرين

ذهب الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة بعد فراره من الوكرة إلى الخوير[56]، ونزل فيه، وكتب إلى أخواله الشيخ محمد (حاكم البحرين) وأخيه الشيخ علي، وأخبرهم بما جرى تفصيلاً؛ فأرسلوا إليه أن يبقى في محله (الخوير)، وسوف تأتيه التعليمات وقت آخر، ثم إنهم أعرضوا عن هذه الحادثة، وكأنها لم تقع، وجعلوا يتظاهرون باللوم والتأنيب على الشيخ أحمد لما بدر منه من سوء التصرفات، وأرسلوا إلى النعيم يظهرون أسفهم لهذه الحادثة، ويعتذرون منهم، ويستقدمونهم إلى البحرين؛ لاسترضائهم، وتوجه رؤساء النعيم وهم راشد بن جبر وعلي بن ثامر إلى البحرين، واجتمعوا بحاكمها الشيخ محمد؛ فاسترضاهم، وقال: نحن لا نرضى بتصرفات الشيخ أحمد الطائشة، ونخطئ أفعاله مع أهل قطر ثم أكرمهم، وخلع عليهم كسوة، وأعطى كل واحد منهم فرسًا ثم مكثوا في البحرين مدة ثلاثة أشهر.

سارت أخبار ترضية النعيم من آل خليفة عن الجميع، وعلم الكل بسد ثغرة الجفاء التي حدثت بين أهالي قطر وآل خليفة، ورجع رؤساء النعيم من البحرين، واجتمعوا بالشيخ قاسم ابن ثاني، وأخبروه أن آل خليفة لم يضمروا السوء للقطريين، وألقوا اللوم على ابن أختهم الشيخ أحمد، وليس في قلوبهم شيء من الحقد، وكان الشيخ قاسم بن ثاني في كل سنة يمضي في وقت معين منها إلى البحرين للسلام على آل خليفة؛ فتأخر تلك السنة سفره عن وقته المعتاد مدة شهرين؛ فأرسل الشيخان محمد وأخوه علي إلى الشيخ قاسم يستغربون عدم مجيئه على عادته السابقة للبحرين وما هو السبب؟ وقالا له: «لعلك خائف على نفسك؟ أما إذا كنت تحذر من جهة حادثة النعيم؛ فنحن قد أرضيناهم، ورفعنا سوء التفاهم بيننا؛ فإن كنت تريد التوجه إلينا؛ فأقدم ولك الأمان منّا والسلام»؛ فاستشار الشيخ قاسم قومه؛ فأشاروا عليه بعدم الذهاب، وقالوا: «لا نأمن عليك من آل خليفة، وإن قولهم هذا هو مكر وخداع منهم؛ فلم يعبأ بقولهم وسافر إلى البحرين»، وحينما وصل الشيخ قاسم لآل خليفة قبضوا عليه وسجنوه عندهم، ولم يفوا بعهدهم له.

---

[56] الخوير: موضع في الطرف الشمالي من بر قطر.



نموذج من العمارات الحديثة في قطر

خراب الدوحة الثاني[57] سنة ١٢٨٣هـ

فلما سجن آل خليفة الشيخ قاسم بن ثاني عندهم، وأمنوا سطوته، جهزوا جيشًا وأرسلوه إلى الشيخ أحمد في الخوير، وكان الجيش مؤلفًا من العجمان، وآل مرة، والمناصير، وغيرهم بقيادة الشيخ إبراهيم بن علي آل خليفة وأخيه الشيخ عيسى بن علي آل خليفة. أما عشيرة العجمان؛ على رأسهم (منصور الطويل)، وعشيرة آل مرة وعلى رأسهم (سالم بن نقادان)، وعشيرة المناصير وعلى رأسهم (محمد بن سالمين آل رحمة)؛ فسار الجميع من الخوير قاصدين الدوحة فلما علم الشيخ محمد بن ثاني بمجيئهم إلى الدوحة، استعد لمحاربتهم وركب إلى قبيلة النعيم على البحث[58] يستنجدهم؛ فلما وصل إليهم لم يحصل على النجدة والمساعدة منهم؛ فانصرف سريعًا، وجمع أهل قطر في الرميلة شمال الدوحة؛ فلما وصل جيش آل خليفة استخبروا بأن الشيخ محمد بن ثاني قد استعد لمحاربتهم؛ فكتبوا كتابًا شرحوا له فيه مطلبهم وغايتهم من التوجه إلى الدوحة ثم طلبوا منه أن يتوجه إليهم لمقابلتهم والاطلاع على نواياهم وله عهد الله وأمانه، وسوف يرجع منهم مسرور الخاطر؛ فتوجه إليهم الشيخ محمد بن ثاني؛ فقالوا إن ولدك أحمد بن محمد آل خليفة في قلبه غيض على ولدك الشيخ قاسم، وقد طلق بالثلاث على زوجاته الأربع إن لم يطأ أرض الدوحة بجيشه - كما وطأ جيش قاسم الوكرة - وذلك بدون قتل وقتال وسفك دماء ونهب أموال، ثم أعطوه علمًا أبيضًا، وقالوا: اجعله على سطح دارك حتى يراه الناس وهو علامة الأمان ورفع الخطر، وانخدع الشيخ محمد بن ثاني بهذا القول، وأخذه على ظاهره، وأخذ العلم، ومضى إلى الدوحة، وفرّق جيشه، ونادى مناديه بالمواطنين بالأمان، وأن يدخلوا بيوتهم، ويسدوا الأبواب عليهم وهم آمنون؛ فدخل آل خليفة بجيوشهم إلى الدوحة، ولم يتعرضوا لشيء في طريقهم بسوء حتى إذا وصلوا إلى سوق الدوحة نادى مناديهم بالسلب والنهب؛ فنهبوا الدوحة ما وسعهم من نهبها وسلبها، ونهبوا أيضًا بيت الشيخ قاسم بن ثاني، وكان من جملة النهب ستة أفراس للشيخ قاسم كانت في بيته، ولم يسلم في هذه الواقعة بيت من النهب والسلب عدا بيت الشيخ محمد بن ثاني؛ فلم يتعرض إليه أحد بسوء، وتسمى هذه الواقعة بـ«خراب الدوحة الثاني سنة ١٢٨٣هـ».

[57] مرّ الكلام عن خراب الدوحة الأول في الصفحات السابقة.

[58] البحث: عين ماء يجتمعون عليها الأعراب للاستقاء منها.



دائرة المحكمة القضائية والشرعية في الدوحة

وقعة الحمرور سنة ١٢٨٣هـ

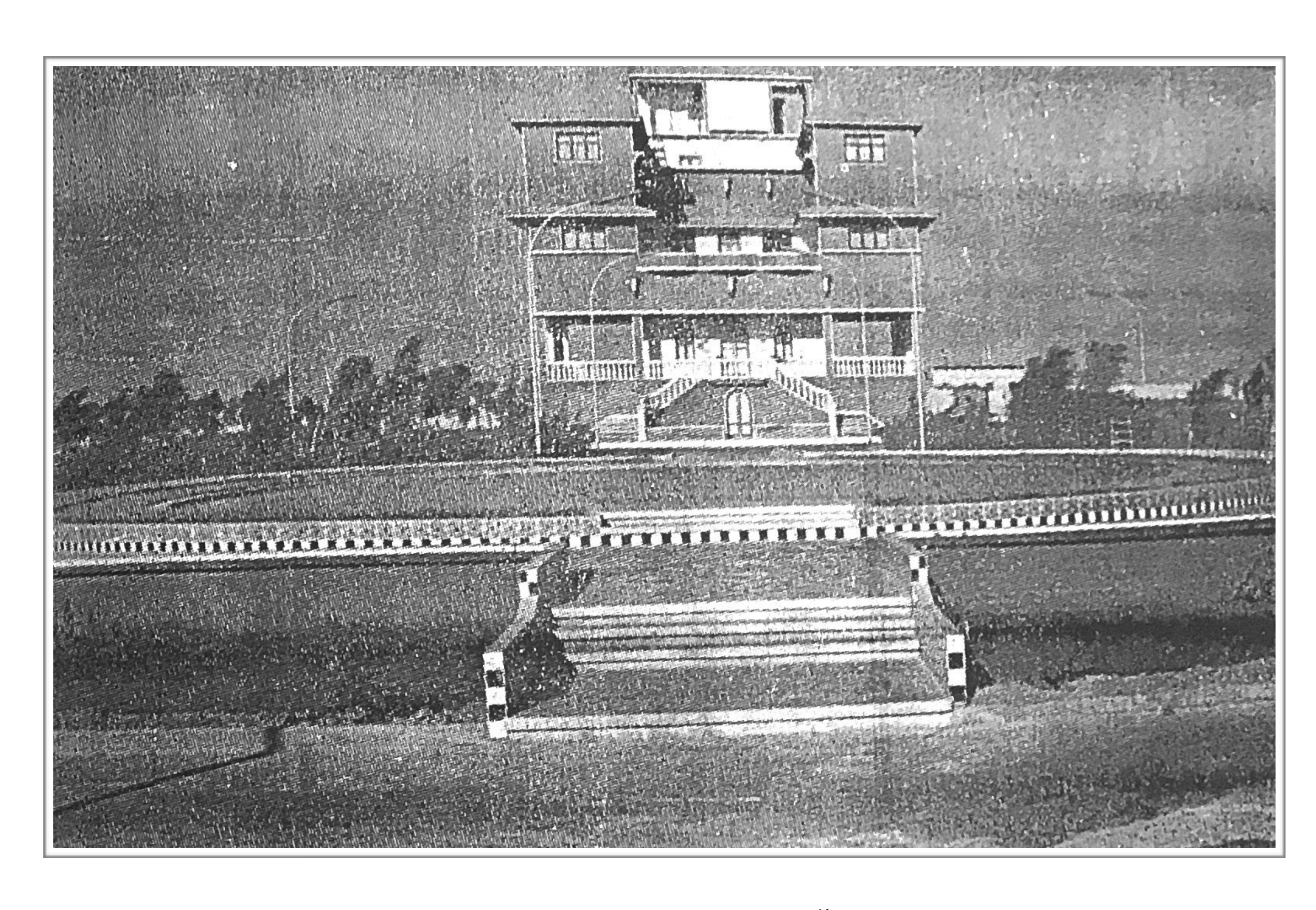
حط جيش آل خليفة رحله في مشيرب[59]، ثم واصل سيره بقيادة الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة لمطاردة قبيلة النعيم؛ فوصل الخبر إلى النعيم بتوجه الشيخ أحمد نحوهم في البحث؛ فرحلوا بظعونهم وجيش آل خليفة يلاحقهم؛ فلما صار اليوم الثالث بكّر عليهم في الحمرور[60]؛ فتلاقوا معه، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى نصرهم الله عليه، وقتلوه، ومزقوا شمله، وفرقوا عسكره، ومضوا إلى الأحساء.

أقبلت بارجة إنجليزية، وفيها رئيس الخليج؛ فركب الشيخ محمد بن ثاني، واجتمع برئيس الخليج، وأخبره بفعل آل خليفة واعتدائهم على القطريين؛ فقال رئيس الخليج: «نحن آسفون على ما وقع من هذه الحوادث، ولكن سجلوا جميع ما نهب من الأموال وسوف نعوّضها عليكم»؛ فقال له: «أما النهب والسلب؛ فلا يهمنا، ولا يمكن حصره، ولكن المهم هو الاعتداء على بيت الشيخ قاسم ونهب خيوله الستة، والتي أرسلت إلى حاكم أبو ظبي الشيخ زايد»، ثم طلب معاهدة معه على سلامة قطر وأهلها من الاعتداء؛ فأعطاه معاهدة على سلامة قطر من أقصاها جنوبًا إلى أقصاها شمالاً، وأبحرت البارجة إلى أبي ظبي، وأرجعوا خيول الشيخ قاسم، ثم إن المعاضيد وأتباعهم من أهل قطر، قرروا الرحيل عن قطر، وقالوا: نحن لا نتمكن أن نسكن في قطر بعد غياب الشيخ قاسم، ولا نقدر أن نأخذ بثأرنا، ونحن في قطر، ويجب علينا الابتعاد عنها؛ فرحلوا إلى بلاد فارس، ونزلوا في جارك[61]، وأما الشيخ محمد بن ثاني فقد ذهب إلى البحرين، ونزل في المحرق، وجعل يتصل بآل خليفة للتوسط بإطلاق ولد الشيخ قاسم من السجن.

[59] مشيرب: : ضاحية من ضواحي الدوحة.

[60] الحمرور: سلسلة تلال في قطر، وفيها ماء.

[61] جارك: بلاد من أعمال فارس.



قصر المنتزة في الريان

الذين ذهبوا إلى جارك من المعاضيد وغيرهم ظلوا هناك طيلة الصيف، ومدّة وقت غوصهم، واستفادوا هناك، ثم عزموا على غزو البحرين؛ فأخذوا يجمعون السلاح والرجال في السفن، ثم أقبلوا إلى الوكرة؛ فلما نزلوا فيها دعوا سنان بن سعد من المعاضيد، وأرسلوه إلى قبيلة النعيم في الأحساء يستنجدهم ويعلمهم الخبر؛ فوجدهم قد ظعنوا من «رقيجة»، ونزلوا في موضع يقال له «سيح البراني»[62]؛ فأجابوا طلب الرسول، ولبوا الدعوة، ورحلوا معه على وجه السرعة، ونزلوا بعيالهم ورحالهم في السيلية[63] قرب الدوحة، وأما الرجال فقد ذهبوا إلى الوكرة يقدمهم ناصر بن جبر؛ فأخذوا بعض السفن من أهل الوكرة، وأركبوا فيها النعيم ثم مروا على آل بوكوارة في سميسمة، واستنجدوهم؛ فلبوا طلبهم، ولم يتأخر واحد منهم، وكان على رأس جيش أهل قطر إبراهيم بن سالم، ثم ساروا إلى البحرين، ولم يصحبهم من قبائل قطر أحد غير الذين ذكرناهم.

علم الخليفيون بهذا الأمر، واستعدوا بأساطيلهم البحرية، وجيوشهم في وجه البحرين، وأرسلوا الشيخ محمد بن ثاني الذي كان حينذاك في البحرين ومعه سلمان بن حمود آل خليفة للتوسط عند أهل قطر بالرجوع عن غزو البحرين مقابل إطلاق سراح الشيخ قاسم من السجن؛ فلما وصل الشيخ محمد بن ثاني إلى رأس ركن[64] وجد القطريين هناك؛ فأخبرهم بقول الخليفيين، فلم يلتفتوا إليه، وأصروا على رأيهم في غزو البحرين ثم أخذوا السفينة التي فيها الشيخ محمد بن ثاني، وصاحبه الخليفي المذكور، وأركبوهما سفينة صغيرة، وأرسلوهما إلى الوكرة، ثم توجهوا في طريقهم لغزو البحرين، وكان زعيم هذه المعركة ناصر بن جبر – رئيس قبيلة النعيم –، وأقلعوا بسفنهم متوجهين نحو البحرين، وهم يرتجزون بهذا النبط:

حرّم عليك الصلح منّا *** ما دام قاسم في الحديد[65]

لا بدّ ما تارد سفنّا *** بالسيف مصقول الحديد

يعنون بالخطاب حاكم البحرين؛ فلما أقبلوا على البحرين، وجدوا الجيوش مستعدة في السفن، ومتأهبة للقتال؛ فالتقى الجمعان عند محل في البحر يسمى «دامسة»، وكان ذلك في ٧ صفر عام ١٢٨٤؛ فتشابكت السفن بعضها ببعض بكلاليب الحديد، وتلاطمت الأشرعة، وأنت الأخشاب من الصدمات، وحمي الوطيس بين الجمعين، ودوت البنادق بالرصاص، وتراكمت على ظهر السفن الصفوف، وأبرقت

[62] رقيجة وسيح البراني: مواقع ومياه في قطر، وفي ضواحي الدوحة.

[63] السيلية وسميسمة: كلها مواقع ومياه في قطر وفي ضواحي الدوحة.

[64] رأس ركن: من جزائر قطر، وتسمى ركان: هي رأس ممتدة طويلاً في البحر شرقي الرويس عليها مركز الآن لشركة شل يغمرها ماء المد، وتظهر بعد الجزر حتى تسير عليها السيارات إلى جزيرة ركان.

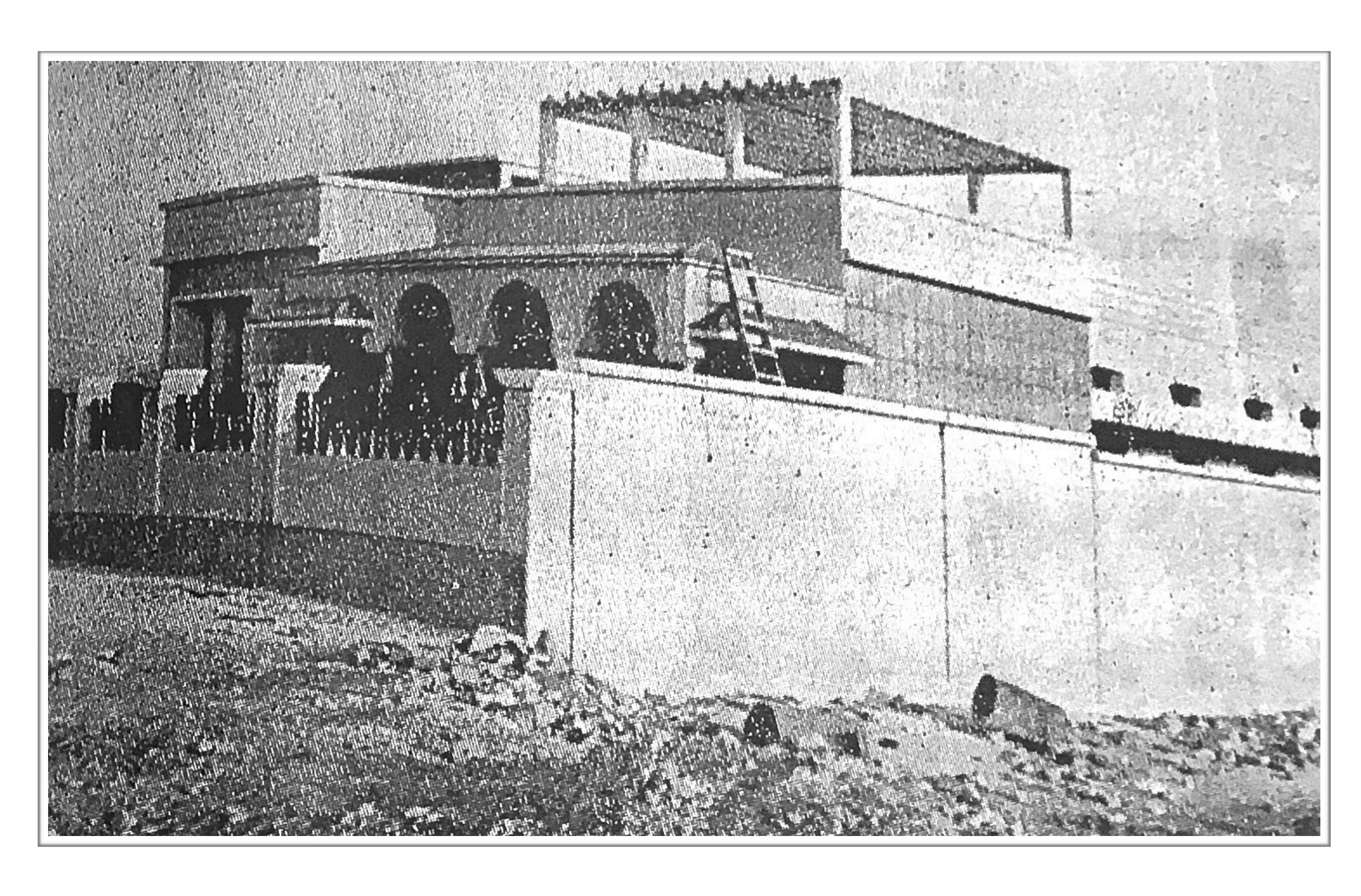
[65] هذا من الشعر الذي يسمى في نجد وتوابعها بالنبطي أي العامي.

خلال الدخان السيوف، وسالت الدماء من المراكب؛ فخضبت الأمواج، واشتعلت النيران في الخشب والأشرعة؛ فتطايرت منها الشهب، وتساقطت الشظايا الملتهبة، وراحت القتلى تسابق الرصاص إلى قاع البحر، وقهقهت فوق عرشه السفن زبد الموج المخضب بدم الأبطال، وانجلت تلك المعركة عن انكسار جيش أهل قطر بعد أن قتل من الجيشين خلق كثير، وقتل من أهل قطر في تلك الواقعة من المعاضيد رجل يقال له محمد بن غانم، وجرح آخر يقال له سلطان بن ماجد، وقتل رجال من البوكوارة، ورجال من النعيم، ومن البحرين مثلهم وأكثر.

أسر الشيخ إبراهيم بن علي آل خليفة

رجع أهل قطر – بعد وقعة دامسة وانكسارهم – إلى الوكرة في قطر؛ فجعل الشيخ محمد آل خليفة يحشد جموعه في السفن، وسار بقواته وأسطوله الشراعي قاصداً أهل قطر إمعانًا منه في الوقيعة بهم وغزوهم، وأقبل بجيشه ونزل في جبل الوكرة بقيادة علي بن خليفة؛ فلما كان اليوم الثاني من نزول جيش آل خليفة في الوكرة، خرج أهل قطر على جيش البحرين، واقتتلوا اقتتالاً شديدًا، وأسفرت المعركة هذه المرة عن انكسار الشيخ علي بن خليفة وجيشه ووقعت فيهم وقعة عظيمة، وأُسر الشيخ إبراهيم بن علي آل خليفة، وكان الشيخ عيسى بن علي أيضًا معهم وهو صغير السن يومئذ؛ فركب على ظهر رجل من قومه وسبح به إلى المركب، ونجاه الله، وسلم من القتل. أما الشيخ إبراهيم؛ فأخذه أهل قطر إلى الشيخ محمد بن ثاني مكرمًا معززًا بسلاحه، والشيخ علي آل خليفة رجع بفلول جيشه إلى البحرين؛ فلما وصل البحرين أحضروا الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني من السجن، وأطلقوا سراحه، ثم أركبوه في سفينة، وأرسلوه إلى قطر، والسفينة التي جاءت بالشيخ قاسم، رجع بالشيخ إبراهيم وسلمان بن حمود إلى البحرين، ثم إن الشيخ قاسم انتقل مع أبيه الشيخ محمد بن ثاني من الوكرة إلى الدوحة، وأرسلا السفن إلى جارك[66] لأجل أن تنقل أهلهم منها وإرجاعهم إلى قطر، وبعد ذلك أجمع أهل قطر كلهم على مبايعة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني؛ فبايعوه بالإجماع على السمع والطاعة من الوكرة إلى الخوير، ولم يختلف على إمارته اثنان؛ فلما استتب له الأمر، وانثنت له وسادة الإمارة أبطل المعاهدة التي كانت له مع الإنجليز، واستمر على علاقاته الحسنة مع الناس، وسار بشعبه بسيرته الحسنة، والطريق مفتوح بين البلدين (قطر والبحرين)، ولم يجر بينهما صلح ولا عداء، ولا يوجد ما يعكر صفو العلاقات حتى إذا دخلت سنة ١٢٨٦هـ، ابتدأت الخلافات الداخلية بين الشيخ محمد وأخيه الشيخ علي آل خليفة بما سيرد ذكره مفصلاً.

[66] سبق وإن أشرنا إلى جارك في أول الكتاب، وهي بلاد من أعمال فارس.



الفيلات الحديثة ومعالم النهضة في الدوحة

وقوع الخلاف بين حاكم البحرين الشيخ محمد آل خليفة وبين أخيه الشيخ علي سنة ١٢٨٥هـ

كانت قد عقدت معاهدة بين حاكم البحرين الشيخ محمد آل خليفة وبين المعتمد البريطاني المقيم في أبي شهر[67]، وكان من جملة بنود المعاهدة «أن لا يستعمل حاكم البحرين القوة في البحر ولا يحارب أو يتخذ أسطوله أو سفنه؛ لأغراض حربية في ساحل الخليج»، وفي مقابل ذلك يتعهد المعتمد البريطاني بالنيابة عن حكومته في رد كل غارة بحرية أو اعتداء يقع على البحرين؛ فلما حدثت وقعة «دامسة» المتقدم ذكرها، علم المعتمد البريطاني، وأقبل ببارجته للاحتجاج على حاكم البحرين؛ لمخالفته نصوص المعاهدة، واعتبر هذه الواقعة خرقًا لميثاق المعاهدة؛ فلما علم الشيخ محمد آل خليفة حاكم البحرين بتوجه المعتمد البريطاني خرج هو من البحرين إلى قطر، وخلّف أخاه الشيخ عليًّا في مكانه لمصالحة المعتمد البريطاني ومفاوضته على ما يريد من المال؛ فاعتبر المعتمد خروج الشيخ محمد إلى قطر اعترافًا منه بالنكث، وأمر المعتمد بارجته بإطلاق المدافع على قلعة أبي ماهر؛ فهدمتها، وحطمت العلمين العثماني والإيراني الذين كان قد وضعهما الحاكم عليها، ثم أمر بحرق أسطول البحرين الشراعي؛ فحرق منه ثلاث سفن كبار حربية كانت خصيصًا للحاكم، ثم طلب من الشيخ علي بن خليفة بأن يتقلد حكم البحرين بدلاً من أخيه الذي سقط حكمه بمخالفة المعاهدة على زعمه؛ فتولى الشيخ علي حكم البحرين عوضًا عن أخيه؛ فأدى ذلك إلى الخلاف الشديد بين الأخوين مما اضطر الشيخ محمد – الحاكم السابق – إلى مغادرة البحرين إلى الكويت وبمغادرته توطّد الملك للشيخ علي على البحرين، ولقد أشار شاعر البحرين حينذاك وهو الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة بقصيدته التي يرثي بها والده حيث قال:

فنازعك الشقيق وكان قدمًا
حسامك والأمور لها انتزاع
وأغرى الدهر بينكما وهاجت
على الإفساد بينكما الرعاع

[67] أبو شهر: هي على الشاطئ الفارسي، وتبعد نحو مئة وخمسين ميلاً عن البحرين شرقًا بشمال.



نموذج من العمارات الحديثة في الدوحة

وقعة الضلع سنة ١٢٨٦هـ

طلب الشيخ محمد بن خليفة من أهل الكويت النجدة والمساعدة؛ فلم يسعفوه بالنجدة في قتاله مع أخيه الشيخ علي، ولكنهم سعوا في الصلح بين الأخوين؛ فركب الشيخ مبارك[68] بن صباح مع الشيخ محمد آل خليفة، وتوجّها نحو دارين[69]؛ فبقى الشيخ محمد بن خليفة في دارين، وذهب الشيخ مبارك إلى البحرين لمواجهة الشيخ علي للصلح مع أخيه. وصل الشيخ مبارك إلى البحرين، وحذر الشيخ علي من الانشقاق، وتفرق الكلمة، والتمس منه إرجاع الأمر إلى ما كان عليه سابقًا، وبعد مذاكرة طويلة رضي الشيخ علي بإرجاع الحكم إلى أخيه الشيخ محمد، وقال بشرط أن لا يصدر أمرًا أو يفعل شيئًا إلا باستشارتي؛ فرجع الشيخ مبارك إلى الشيخ محمد بن خليفة، وأخبره بقول أخيه؛ فلم يوافق على هذا الشرط، وشكر للشيخ مبارك توسطه وصنيعه، واعتذر له مما ناله من التعب والفشل في مساعه بدون نتيجة، ثم رجع مبارك إلى الكويت.

أما الشيخ محمد آل خليفة كتب إلى الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود، يطلب منه النجدة لاسترجاع بلاده من أخيه الشيخ علي، وأرسل الكتاب مع ولده سلمان بن محمد إلى الرياض؛ فكتب عبد الله الفيصل آل سعود إلى بني هاجر أن يساعدوا محمد بن خليفة؛ فسار بنو هاجر، وتوجهوا إلى دارين، وأتاه أيضًا الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله الخليفة، وعقد معه اتفاقًا، ومعاهدة بأن يساعده بنفسه وأمواله، وسار معه ضمن أتباعه من بني هاجر، وتوجه الكل نحو البحرين، ولما نزلوا سفنهم إلى البر، خرج لهم الشيخ علي بن خليفة بجيش عظيم ثم تواجه الجيشان في موضع يقال له الضلع، واقتتلوا قتالاً عنيفًا، وجرت معارك دامية؛ فالتحمت الصفوف، واختلطت الرماح بالسيوف، ولعبت الأسنة بالتروس، ووطئت الخيل بسنابكها الرؤوس، ثم أسفرت المعركة عن قتل الشيخ علي بن خليفة، وولده الشيخ إبراهيم بن علي، وأما الشيخ عيسى بن علي فقد أصابته جراحات، وقتل أيضًا الشيخ خليفة بن علي بن خليفة وغيرهم من الرجال المشهورين، واستولى الشيخ محمد بن خليفة على البحرين بعد أن نهبت المنامة بأجمعها، وكانت هذه الواقعة في ٢١ جمادى الثانية سنة ١٢٨٦هـ، وأرخوها بقولهم: «وي لأوال خُربت» ١٢٨٦.

بعد أربعة أيام من هذه الواقعة، وحكم الشيخٍ محمد، اختلف عليه الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله آل خليفة، وسجن الشيخ محمد بن خليفة، وعمه الشيخ محمد بن عبد الله في قلعة أبي ماهر

[68] في رواية أخرى: أرسل حاكم الكويت الشيخ عبد الله الصباح كتابًا مع أخيه الشيخ محمد الصباح، (تاريخ البحرين).

[69] دارين: منطقة من مناطق القطيف تقع على البحر.

التي كان يرفع فوقها العلمين التركي والإيراني، وقد قال لهم الشيخ محمد عندما اعتقلوه: «لن يطول حكمكم أكثر من ثلاثة أشهر»، وكان صادقًا في نبوئته؛ لأنه بعد مدة لا تتجاوز الثلاثة أشهر من ذلك التاريخ، أقبلت بارجة إنجليزية، وفيها المعتمد البريطاني ورئيس الخليج المقيم في أبي شهر حينذاك ويسمى «بيلي» إلى البحرين، وسأل عن الحاكم الشيخ علي؛ فأخبروه بالخبر وأنه قتل، وأن الشيخ محمد أخوه محبوس في قلعة أبي ماهر؛ فغضب المعتمد البريطاني، وأمر بإخراج جيش آل عبد الله – وهم بنو هاجر – من البحرين، وأطلق المدافع على دار الحكم في المنامة؛ فخرج بنو هاجر فارين ومعهم أميرهم الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله آل خليفة، ودام إطلاق المدافع عليهم حتى أبعدوا عن البحرين.

أما الشيخ محمد بن خليفة؛ فقد أخرجوه من السجن، وأرسلوه إلى عدن؛ فبقي هناك عدة سنين أسيراً، وبعد ذلك شفع فيه السلطان عبد الحميد إلى الحكومة البريطانية؛ فأذنت له بالسفر إلى مكة، ولكنه لم ينعم فيها؛ فقد مات هناك سنة ١٣٠٧هـ كما مات الشيخ عبد الله في مسقط حزينًا طريداً، وقد أرخ أهل مسقط هذه الحادثة بقولهم: «علي غيب ومحمد سيب» ١٢٨٦، ثم إن المعتمد سأل الرؤساء والأعيان من أهل البحرين فيمن يختارونه حاكمًا عليهم فأجمع الرأي على طلب الشيخ عيسى بن علي، وكان حينذاك الشيخ عيسى في قطر عند قبيلة النعيم؛ فكتب المعتمد إلى الشيخ عيسى يستقدمه إلى البحرين؛ فأقبل بمن معه من عشيرته وصحبته قبيلة النعيم وعلى رأسهم ناصر بن جبر وأتباعه؛ فنزل المحرق؛ فقابله المعتمد بيلي، واتفق مع المعتمد على بعض الشروط، ورقي عرش آبائه بالتهليل والهتاف من الجمهور، وذلك في سنة ١٢٨٦هـ، وعمره يومئذ ٢١ سنة؛ فسار – عليه الرحمة – في شعبه سيرة مرضية، وتسلم زمام الملك بيد الحزم والتدبير؛ فدانتً له القبائل والأعراب، وأحبه الناس؛ لأنه كان كريم اليد، حسن الخلق، منصفًا مع رعيته لذلك أحبه الناس لخصاله، وشجاعته، وكرمه، ونبله.

ولما توطد الحكم للشيخ عيسى بن علي، وتم له الأمر، رتب المرتبات لأصحابه الذين رافقوه من قطر إلى البحرين، وهم عشيرة النعيم؛ فرتب مرتبًا لناصر بن جبر مائة روبية ١٠٠ شهريًا، وعشرة أكياس رزاً، وكيسًا واحداً قهوة، وبندلة تتن (الدخلة) وخمسين قلة تمر[70]، ورتب لأخيه راشد بن جبر نصف راتبه أخيه الشيخ ناصر بن جبر، وجعل لكل من أفراد العشيرة ثمانية روبيات، والناقة لها ستة روبيات، وطلب منهم كل سنة يأتون صيفًا إلى البحرين بعيالهم ومواشيهم التي يحتاجونها؛ فيبقون أربعة أشهر في البحرين ثم يرجعون إلى قطر؛ فاستمرت الحالة على ذلك حتى صدر أمر المعتمد

[70] البندلة والقلة: هي مقاييس محلية.

البريطاني الجديد في البحرين المسمى «ديلي» بعدم دخول النعيم إلى البحرين على أن رواتبهم تجري لهم بحجة أن وجودهم في البحرين يشكل ضرراً وخطراً على النخيل والمزارع، وفي كل هذه الحالات كانت العلاقات بين قبيلة النعيم وبين الشيخ قاسم بن ثاني على ما يرام إلى أن حدث من النعيم ما يعكر صفو هذه العلاقات.



لفيف من القبائل القطرية

وقعة الربيقة سنة ١٢٨٧هـ

كان النعيم مع الشيخ قاسم ابن ثاني مصطافين على ماء يسمى السيلية[71]، ويتبادلون الزيارات معه؛ فلما انتهت مدة الاصطياف رجع الشيخ قاسم إلى البلاد (الدوحة)، ورحل النعيم إلى الشمال من قطر؛ فلما وصلوا إلى موضع يقال له «أم سويجة»[72] وجدوا هناك مواشي؛ لقبيلة «المهاندة»، وهي أربعون ناقة؛ فنهبوها وساروا بها؛ فلما بلغ ذلك عشيرة المهاندة، أقبلوا إلى الشيخ قاسم، وأخبروه؛ فكتب إلى رؤساء النعيم وهم ناصر وراشد أولاد جبر: «إنكم بعملكم هذا نكثتم العهد معنا بارتكابكم هذه الجريمة؛ فحين وصول كتابي إليكم ترجعون ما نهبتم من الإبل بأجمعها، وإن أبيتم؛ فليس لكم عندنا عهد ولا ذمة»؛ فأجابوه بالجفاء والقطيعة، وقالوا: «نحن لا نرجع ما نهبناه، وأنت وشأنك» ثم إنهم أغاروا مرةً ثانية، وأخذوا غنمًا للشيخ محمد بن ثاني كانت مودعة عند رجل يسمى مبارك بن دويحس المظافرة، وكان الناس حينئذ مشغولين في الغوص والبحر؛ فتركهم الشيخ قاسم حتى انتهت مدة الغوص، ورجع أهل قطر إلى ديارهم.

استعد الشيخ قاسم لمحاربة النعيم؛ فسار بأهل قطر نحوهم؛ فلما علم الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين جهز سفنًا وفيها جيش لمساعدة النعيم، وسار بنفسه أيضًا في الطويلة[73] يصحبه سعود بن فيصل ومعه ثلاثون رجلاً من أهل العارض[74]، ومنهم سعود بن جلوي، ومحمد بن ثنيان آل مقرن وغيرهم؛ فلما وصل الشيخ عيسى إلى الربيقة[75] أنزل جيشه هناك، وبقي هو والشيخ سعود في الطويلة (البغلة)، وبعد يومين من وصولهم أقبل الشيخ قاسم ابن ثاني بجيوشه، وتقابل الجيشان بالقرب من الربيقة؛ فاقتتلوا قتالاً شديدًا، وأسفرت الواقعة عن انتصار الشيخ قاسم على أهل النعيم، وقتل فيها محمد بن ثنيان، وقتل أيضًا جبر بن ناصر، وأسر الشيخ سعود بن جلوي، وفيصل المرضف من رؤساء آل مرة. أما عدد القتلى والأسرى؛ فكثير لا يعد ولا يحصى، ونكتفي بذكر هؤلاء الذين ذكرناهم، ثم إن فلول جيش النعيم تحصنت في قصر الربيقة، وأما جنود البحرين؛ فعبروا في سفنهم إلى البحرين، ثم إن النعيم طلبوا الأمان من الشيخ قاسم؛ فلم يعطهم الأمان، واشترط عليهم الاستسلام بدون قيد أو شرط؛ فنزلوا على أمره، واستسلموا له؛ فأخذ نصف أموالهم وخيولهم وأسلحتهم، وأعطاهم النصف الآخر كرامةً منه لهم، وأرسلوا الأسرى إلى البحرين، وهم الذين ذكرناهم ثم رجع الشيخ قاسم إلى الدوحة، وتسمى هذه الوقعة «وقعة الربيقة» سنة ١٢٨٧هـ.

---

[71] السيلية: روض كبيرة من ماء عذب، وفيها الآن مركز لاستخراج الماء الذي يدفع للدوحة، وتبعد ١٥ كيلو مترًا عن الدوحة إلى الغرب.

[72] أم سويجة: وتسمى أم سويّة، وهي عيون ماء ثلاثة، وتبعد عن الخور مسافة ٧ كيلومترات إلى الجنوب الغربي.

[73] الطويلة: سفينة خاصة يركبها الحاكم، وسميت بالطويلة لطولها المتناهي، وتسمى أيضًا البغلة.

[74] العارض: منطقة من بلاد نجد.

[75] الربيقة: وتسمى أيضًا الربيجة هي قرية دائرة على سيف البحر الغربي.

حصار الزبارة أو شد القليعة سنة ١٢٩٤هـ

خضعت قطر للشيخ قاسم ابن ثاني، وأخلد أهلها إلى السكينة؛ فلم يجر شيء من الحوادث يستحق الذكر حتى حلول سنة ١٢٩٤هـ، حيث جاءت سفينة من العقير[76] لصاحبها أحمد بن رمثة السويدي، وفيها النوخذة[77] جابر بن عبد الله، وهي تحمل خمسمائة «جالوك»[78] تمر، ولحمت على رأس عشيرج[79]، وكان النعيم في ذلك الوقت يقطنون الزبارة؛ فأقبلوا إلى السفينة ونهبوها بأجمعها ثم جمحوا النوخذة جابر بن عبد الله المذكور؛ فبلغ ذلك الشيخ قاسم في الدوحة؛ فأرسل إليهم طالبًا استرجاع ما نهب من السفينة؛ فلم يقبلوا، وأصروا على عدم إرجاع النهب؛ فسار لهم بجيشه ونازلهم في الزبارة؛ فتحصنوا في قلعة مرير، ووقعت بينهما بعض المناوشات ثم حاصرهم في القلعة أربعين يومًا؛ فلما علم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين جهز جيشًا لمساعدة النعيم، وفك الحصار عنهم، وبينما كان يتردد بين الإقدام أو الإحجام إذ أقبلت بارجة إنجليزية، وفيها المعتمد البريطاني؛ فلما علم بهذه الحركة منع أهل البحرين عن مهاجمة قطر، وأقبل ببارجته إلى قطر للاستفسار عن حصار النعيم؛ فقال الشيخ قاسم لرئيس الخليج: «إن النعيم هم رعايانا، وقد عاثوا في الأرض فسادًا، ونهبوا السفينة؛ فطلبنا منهم إرجاع ما نهب؛ فأبوا وهذه كتبهم، وهذه قائمة الأموال المنهوبة؛ فحاصرناهم لاسترجاع الأموال وتأديبهم؛ فكما أنتم مسؤولون عن أمن الخليج في البحرين كذلك نحن مسؤولون عن أمن البلاد في قطر»؛ فقال المعتمد البريطاني: «إذا كان كذلك فالحق معك، وأنت وشأنك معهم، ثم منع أهل البحرين عن مناصرة النعيم، وأمر بإرجاع الجيش إلى البحرين وتفريقهم؛ فلم يكتف الشيخ عيسى بذلك دون أن يرسل راشد بن جبر – وكان عنده في البحرين – أرسله إلى عشيرة العجمان، وهم إذ ذاك في المملكة[80]، وكان رئيسهم راكان، وطلب منهم النجدة والمساعدة للنعيم؛ فلم يلبّوا طلبه بالمساعدة.

وكان رجل من العجمان يقال له «حزام بن فاران»؛ فأحب هذا أن تكون له يد ومنة عند الشيخ عيسى ابن خليفة؛ فتبرع هو لمساعدة النعيم، وسار مع راشد بن جبر، ومعه لفيف من أصحابه العجمان؛ فدخلوا إلى قطر لمناصرة النعيم المحصورين في القلعة، ولكنهم أقبلوا بعد فوات الأوان؛ لأن

---

[76] العقير: بلدة تقع على الخليج العربي تابعة للمملكة العربية السعودية.

[77] النوخذة: أي الربان.

[78] الجالوك: وعاء للتمر كالخصافة.

[79] عشيرج: رأس طويلة ممتدة في البحر جنوبي الزبارة.

[80] المقصود من المملكة: هي المملكة العربية السعودية.

المحصورين من النعيم قد نزلوا على حكم الشيخ قاسم بدون قيد أو شرط، وسلموا أنفسهم إليه؛ فلما سمعوا بذلك رجعوا حزام بن فاران وجماعته العجمان على أعقابهم. أما الذين نزلوا على حكم الشيخ قاسم؛ فقد أخذ الشيخ قاسم نصف خيولهم وسلاحهم وأعطاهم النصف الآن، وكان رجل يسمى «ابن عنزان»، وعنده حصان أصيل، وكان مع النعيم محاصراً في القصر؛ فتمكن من الفرار بحصانه، وقدم البدع من قطر، واستجار عند رئيس البوكوارة محمد بن سعيد؛ فلم علم الشيخ قاسم كتب إلى محمد بن سعيد بإرسال حصان ابن عنزان فوراً، ولكن محمد بن سعيد أرسل ابن عنزان وحصانه إلى البحرين للشيخ عيسى، وذلك تخلصاً من استجارته؛ فقال الشيخ عيسى لابن عنزان إن كنت تريد البقاء في البحرين فلا بأس، وإن كنت تريد الذهاب إلى قطر؛ فأعط الحصان إلى الشيخ قاسم، وأنا أعطيك حصانًا أحسن منه؛ فلما سمع ابن عنزان رجع إلى قطر، وأعطى الحصان إلى الشيخ قاسم واسترضاه، وكانت هذه الواقعة تسمى «حصار الزبارة» أو «شد القليعة» في سنة ١٢٩٤هـ.

وقعة الغارية سنة ١٣٠٣هـ

كان محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ناصر[81] رجلاً ذكيًا، وثريًا، وطموحًا في الحياة، وكان يسكن المحرق في البحرين، وكانت أخته زوجة الشيخ محمد بن ثاني، والأخرى زوجة علي ابن محمد آل ثاني الملقب بالجوعان، وقد صاهر أخيراً البوكوارة، وتزوج بنت خلف أبو شمة الكواري، وكان يأتي قطر للبيع والشراء في اللؤلؤ ثم استأذن من الشيخ قاسم ابن ثاني أن يسكن في الغارية[82] من بلاد قطر فأذن له؛ فبنى قلعة محصنة في الغارية، ودعا جميع أثرياء البلد والتجار إلى سكناها، وأخذ يجمع الناس والقبائل حوله، ويبذل الأموال لذلك؛ فأتت إليه القبائل من البوكوارة، والنعيم، والبوعينين، والعمامرة؛ فتعاهدوا معه.

زاحم بتصرفاته هذه سلطان الشيخ قاسم ابن ثاني، وتجاهر له بالعداء؛ فكان لا بد من أن تغيض هذه الاستفزازات الشيخ قاسم طبعًا؛ فجعل يتحين الفرص للقضاء عليه والتخلص منه، وكان لمحمد بن عبد الوهاب إبل قد أودعها عند البدات؛ فأرسل الشيخ قاسم رجالاً لنهبها، ومن جملتهم: علي بن قاسم، وسلطان بن ناصر، وعلي بن سعيد، ومسعود بن ذياب، وسعيد الحبشي خادم الشيخ قاسم؛ فأقبل هؤلاء، ونهبوا الإبل؛ فلما بلغ محمد بن عبد الوهاب نهب إبله، خرج من بلاده

[81] وهو من عشيرة الفياحين وهي فرع من عشيرة السبيع.

[82] الغارية: من أهم قرى قطر، وهي تقع على ساحل قطر الشمالي الشرقي.

(الغارية) والتجأ إلى النعيم في الماجدة[83]؛ فأرسل الشيخ قاسم سيفًا الهاجري مع ثلاثين رجلاً، ونهبوا إبل أهل الماجدة؛ فهاج النعيم لتخليص إبلهم، ولكن بدون جدوى؛ فرحلوا من الماجدة إلى عذبة[84]، وهكذا جعل الشيخ قاسم يطارد الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى ضجر الأخير، وطلب حمايته وحماية بلاده من متصرف الأحساء[85]؛ فأرسل له سرية من الجيش لحمايته وحماية بلاده الغارية؛ فلما علم الشيخ قاسم عزم على احتلال الغارية؛ فتوجه بجيشه ونزل «الهشم»[86] ثم أرسل سرية بقيادة ولده الشيخ خليفة بن قاسم، وثاني بن قاسم؛ فأقبلا ونهبا غنمًا للنعيم كانت في عذبة، ثم إن الشيخ قاسم أوعز إلى جيشه أن يحتل الغارية؛ فهاجمها الجيش ليلاً؛ فلما رأى محمد بن عبد الوهاب ذلك جمع أهله وعياله، وغادروا الغارية قبل الهجوم عليها بثمان ساعات.

دخلت جيوش الشيخ قاسم الغارية، ونهبوها؛ فعند ذلك هربت النعيم شمال قطر، وأما البوكوارة والعمامرة؛ فقد أقبلوا إلى معسكر الشيخ قاسم، وقد علقوا سيوفهم في أعناقهم علامة الاستسلام، وهم يطلبون منه الأمان، وكان فيهم مبارك بن حسن رئيس العمامرة، وربيعة بن عبد الرزاق رئيس البوكوارة؛ فخربت الغارية في هذه الواقعة، وتفرق أهلها، وذهب آل جبران وهم راشد بن علي البوعينين وجماعته إلى البحرين، وأما محمد بن عبد الوهاب؛ فقد طلب من الدولة العثمانية أن يسكن معه والبوعينين الذين ذكرناهم في دارين، ثم انتهت حركات محمد بن عبد الوهاب في قطر، وأفل نجمه، وتسمى هذه الواقعة «وقعة الغارية» سنة ١٣٠٣[87].

[83] الماجدة: مشهورة الآن بالمايدة؛ لأن المعروف في عرب الخليج يقلبون الجيم بالياء، وتقع هي في شمال قطر.

[84] عذبة: موضع فيه ماء، وتقع للجنوب الغربي من الغارية، وعلى بعد ستة كيلومترات منها.

[85] الأحساء: ولاية عثمانية حينذاك يحكمها متصرف.

[86] الهشم: موضع في قطر، وفيه ماء.

[87] وقد وجد في تل قرب الغارية صخرة منحوتة بالعبارة الآتية: «سنة ١٣٠٣ وخيذ الغارية في ربيع الأول»، وسيجد القارئ الكريم شكلها في الصفحة التالية.



الصخرة المنحوتة عليها عبارة: «اوخيذ الغارية سنة ١٣٠٣ ربيع الأول».

وقعة بينونة[88] سنة ١٣٠٤هـ

في أواخر سنة ١٣٠٣ ، غزا حميد بن مانع في عمان ، وأخذ إبلاً لعشيرة الخواطر ؛ فلما بلغ الشيخ زايد حاكم عمان ذلك غضب غضبًا شديدًا ، وأرسل إلى حميد بن مانع المذكور أن يرد الإبل ؛ فأبى أن يردها ، ودخل قطر بعد ضغط وتهديد من الشيخ زايد ، وطلب من الشيخ قاسم حمايته ؛ فأرسل الشيخ زايد محمد بن سيف المزروعي إلى الشيخ قاسم يطلب منه رفض حمايته على حميد بن مانع ؛ فقال الشيخ قاسم للرسول (محمد بن سيف) : «إن حميد بن مانع رجل بدوي يتجول في أرض الله ، ونحن لا نمنع أحدًا يدخل بلادنا ويستجير بنا ، ولا نرضى على أحد أيضًا يعتدي عليه ، وهو في جوارنا» ؛ فرجع الرسول ، وأخبر الشيخ زايد بما قاله الشيخ قاسم ابن ثاني ؛ فعند ذلك أمر الشيخ زايد جماعته المناصير البوشعر أن ينتقموا لأنفسهم من الشيخ قاسم ابن ثاني ؛ فخرج زيتون رئيس قبيلة البوشعر في أربعين رجلاً ؛ فكمنوا في الطريق في موضع يقال له «الخيسة»[89] ، وجعلوا لهم رقيبًا يراقب الطريق ، وكان حينذاك الشيخ قاسم وقومه قد خرجوا إلى الربيع[90] شمال قطر ، وكان أهل الدوحة كلما يخرج منهم أحد ويمر على هؤلاء ينهبونه ويأسرونه حتى أسروا عشرة أنفار ؛ فاستطاع رجل منهم أن يهرب ؛ فأقبل إلى الشيخ قاسم في منتصف الليل وأخبره بما جرى .

أمر الشيخ قاسم أخاه أحمد بطلبهم ، ولكن زيتون وقومه ذهبوا بعد صلاة المغرب ، والرجال الذين قبضوا عليهم أخذوهم معهم ثم أطلقوهم ؛ فسار الشيخ أحمد في منتصف الليل على أثرهم ؛ فلحقهم في اليوم الثاني عصراً إلى شبهانة[91] عند عقلة النخلة ، واشتبك معهم واستعاد النهب ، وغنم منهم خمسة عشر ناقة ، وحال الليل بينهم ولم يتمكن من قتلهم ومضى إلى شأنه مع جماعته ثم أغار زيتون وقومه على النعيجة[92] في قطر ، وأخذوا من مروه النعيجة ثلاث نساء عبدات ، وكان الشيخ قاسم حينئذ في الكرعانة[93] ، والشيخ أحمد في «الخرارة» ، وصارت العبدات عتقًا غير مملوكات ؛ فكتب بعد ذلك القاضي بأنهن عتق ؛ فذهب آباؤهن وارجعوهن ، ولما صارت السنة الثانية عزم الشيخ قاسم على غزو عمان ، واستهدف بغزوه محمد بن سيف المزروعي وقومه من بني ياس وهم على بينونة ، وأخذ منهم مالاً كثيراً ثم رجع إلى قطر سالمًا ، ولم يصب بأذى ، وكانت هذه الواقعة تسمى «وقعة بينونة» سنة ١٣٠٤هـ .

---

[88] بينونة : موقع في عمان وفيه ماء .

[89] الخيسة : منطقة في قطر .

[90] الربيع : اصطلاح على اخضرار الأرض .

[91] شبهانة : موقع في قطر ، وعقلة : اصطلاح محلي معناه اجتماع الرعاة على عين ماء .

[92] النعيجة : تبعد عن الدوحة أربع كيلومترات ، وفيها الآن مجموعة بساتين للشيوخ .

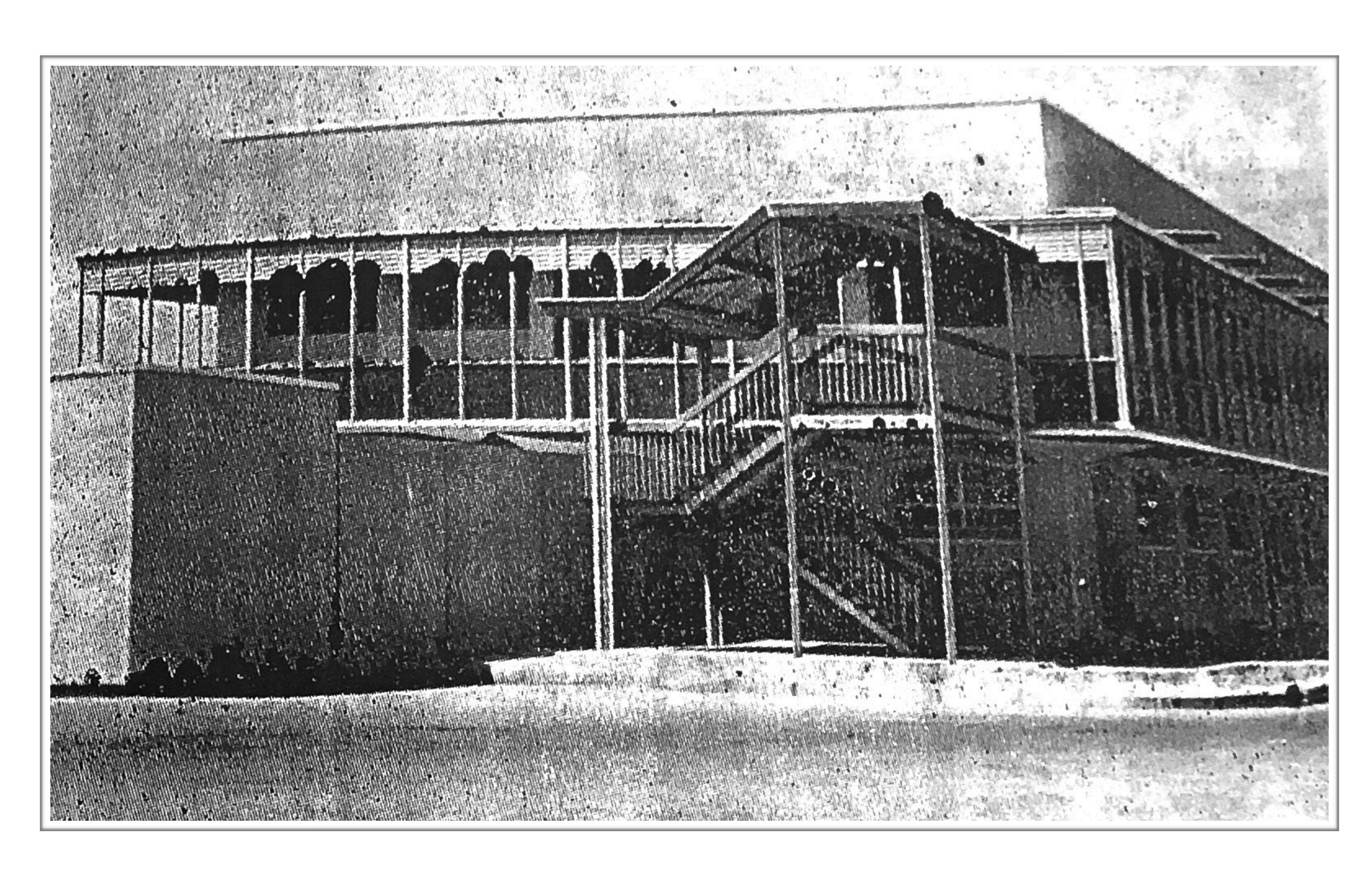
[93] الكرعانة والخرارة : منطقة من بلاد قطر .

غزوة الدوحة سنة ١٣٠٥هـ

في سنة ١٣٠٥هـ، غزا الشيخ خليفة بن زايد - حاكم عمان - قطرَ، في جيش يعد بسبعمائة رجل؛ فجعل الشيخ قاسم حرسًا في جنوب قطر للمراقبة، اثنين صباحًا، واثنين عصرًا؛ فدخل الغزاة ليلاً، ولم يشعر المراقبون بهم، وحينما أقبل المراقبون في الصباح وجدوا أثر الغزاة؛ فعادوا إلى البلد؛ فلم يصلوا الدوحة إلا والغزاة قد ارتحلوا عنها، وكان الشيخ خليفة بن الشيخ قاسم خارج الدوحة؛ فهجم الغزاة على الدوحة، وهب أهلها للدفاع عنها، واقتتلوا مع الغزاة، وكان من جملة المقاتلين الشيخ أحمد بن قاسم، وأخوه الشيخ ثاني، والشيخ علي، والشيخ خليفة، وبقية آل ثاني، وأهل البلد، ووقعت المعركة في آخر الليل، وقتل الشيخ علي بن قاسم الملقب بـ«جوعان»، وقتل معه من أهل قطر عشرون رجلاً، وقتل من الغزاة اثنا عشر رجلاً، وفيهم ابن هويدان رئيس بني جتب، وعيد بن حليمان آل بن شعر، كل ذلك والشيخ قاسم لا يعلم بهذه الواقعة، وهو في الضعاين[94] مع أهله ومعه خمسون فارسًا من بني هاجر؛ فأقبل الشيخ قاسم في آخر النهار بينما ذهب الغزاة، وولوا الدبر في أول النهار بعد طلوع الشمس، وصلى الشيخ قاسم على ولده القتيل الشيخ علي، وبقية القتلى، ودفنهم ورجع إلى مقره الضعاين، وتسمى هذه الواقعة بـ«غزو الدوحة» سنة ١٣٠٥هـ.

---

[94] الضعاين: منطقة للاصطياف في قطر.



دائرة البريد الحديثة في إمارة قطر

وقعة خنور[95] سنة ١٣٠٥هـ

في أواخر سنة ١٣٠٥هـ، استعد الشيخ قاسم ابن ثاني بجيوشه، وغزا أهل عمان، وجعل يغير على الأحياء والبلدان حتى وصل إلى خنور؛ فدخل أهل عمان في قلعة خنور، وتحصنوا بها، وجعلوا يترامون مع الشيخ قاسم ويحاربونه؛ فركز الشيخ قاسم رايته بالقرب من القلعة، ورأى كثرة المتحصنين في القلعة، وكثرة الرماة منها، جمع كبار قومه وعسكره، وجعل يستشيرهم بأمر القلعة، وكيفية الهجوم عليها واحتلالها؛ فلما رأى الشيخ أحمد ابن ثاني تردد أخيه الشيخ قاسم في أمر القلعة، أخذ على عاتقه خطة الهجوم عليها واحتلالها بدون استشارة أخيه الشيخ قاسم، ثم هجم عليها، واحتلها بعد أن قتل من أصحابه عشرة أنفار، خمسة من المعاضيد، وأربعة من بني هاجر، وواحد من آل مرة ثم إنه أشعل النيران في القلعة، وقتل جميع من كان فيها من الرجال. قال الشاعر:

وقلدوا أمركم لله دركم *** رحب الذراع بأمر الحرب مطلعا

ومن قصيدة نبطية[96] للشيخ قاسم ابن ثاني يذكر بها هذه الواقعة، ويقول فيها:

سرنا وسيرنا الإله أو عاننا *** ولا همنا كثر العذل والعذايل

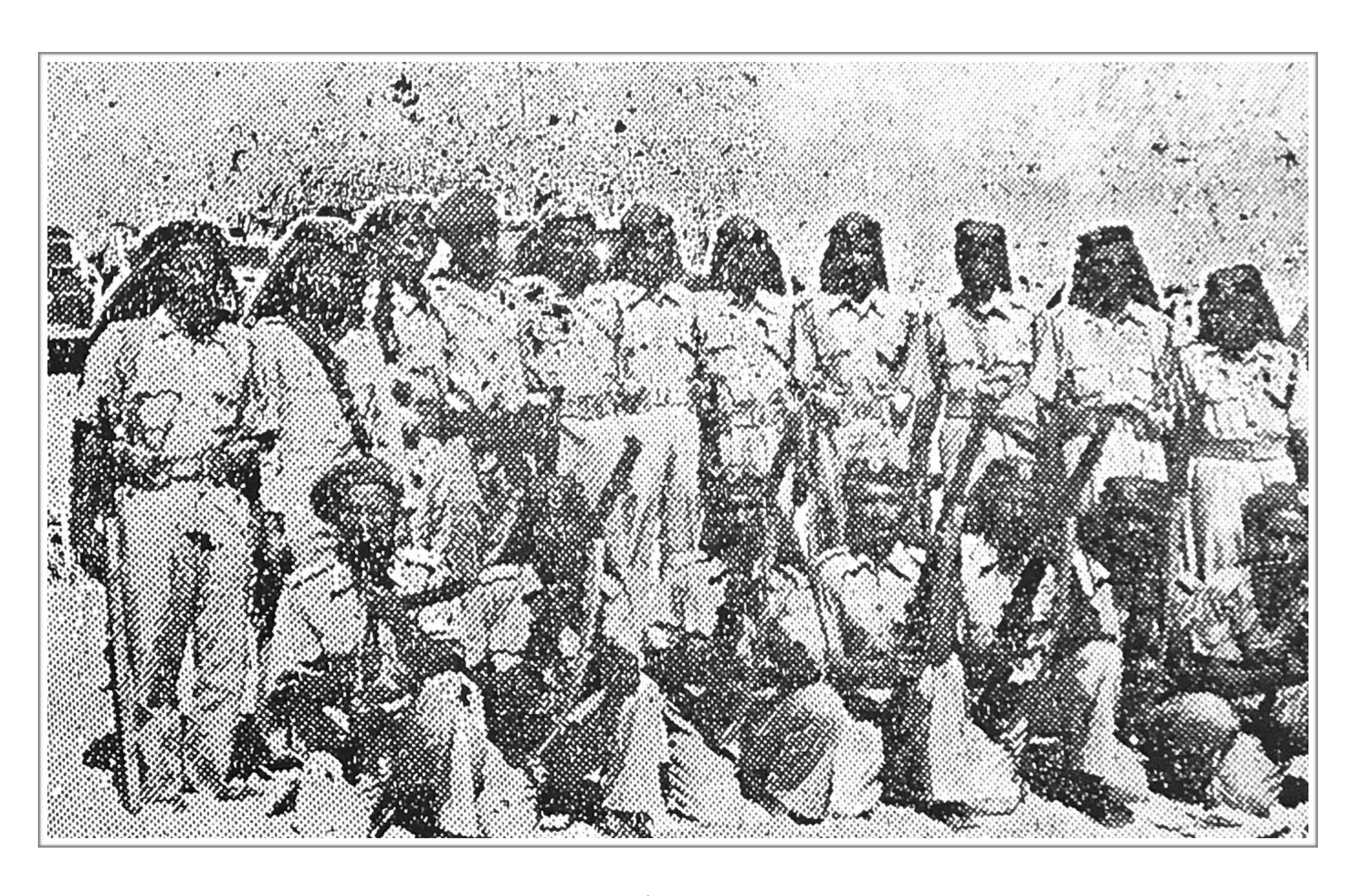
ساعة وصلنا نحسب الرأي عندنا *** وغدا رأينا عند العيال الجهايل

ثم إن الشيخ قاسم استقام بجيشه في قلعة خنور خمسة عشر يومًا، وجعلها نقطة ارتكاز لإرسال جيوشه منها للهجوم على عمان غربًا وشرقًا وشمالاً وجنوبًا، ثم رجعوا إلى قطر سالمين غانمين وتسمى هذه الوقعة «وقعة خنور» ١٣٠٥هـ.

---

[95] خنور: منطقة من مناطق عمان.

[96] النبط: اصطلاح محلي معناه الشعر العامي.



مفرزة من الجيش القطري

وقعة القارة سنة ١٣٠٦هـ

عظمت المصيبة على الشيخ زايد بن خليفة – حاكم أبوظبي – بعد واقعة خنور، وأخذ يتململ حتى إذا كانت سنة ١٣٠٦هـ، غزا الشيخ زايد بقوة عظيمة تعد بألفي رجل، وأرسل سفنًا لشحنها بالزاد والعتاد، ووضعها على حدود بلاده (عمان)؛ فعلم الشيخ قاسم ابن ثاني بتوجه جيش الشيخ زايد لغزو قطر، ومعه سفينتان محملتان بالمؤن والزاد والذخيرة، وكان قد أمر أن ترسو السفينتان في «السلع»[97] كما علم أيضًا بالسفينتين اللتين قد أرستا في السلع؛ فأسل لها سفينتين في واحدة منها خليفة بن ناصر السويدي ومعه عشرون رجلاً من جماعته، والثانية فيها شاهين العسيري وهو من جماعة المعاضيد، ومعه عشرون رجلاً أيضًا؛ فنظر خليفة بن ناصر في ناظروه؛ فرأى السفينتين في السلع، وقد تأخرت إحداهما عن الأخرى؛ فأسر إليها وهاجمها؛ فاستسلمت، وكان في السفينة ابن سويح المزروعي؛ فأسروا السفينة، ورجعوا إلى قطر، وجاءوا بها إلى مقابل بيت الشيخ قاسم في الدوحة، وسلموها له؛ فاستجوب الشيخ قاسم أسيره ابن سويح، وأخذ المعلومات منه عن مدى قوة الشيخ زايد، وبعد ذلك أصدر أمره إلى أهل قطر جميعًا من أقصاها إلى أقصاها بالحضور والاستعداد للحرب؛ فاجتمعوا جميعًا في مسيمير[98]، وهم منتظرون مجيء أهل عمان الغزاة، وفي كل يوم يمضي عشرة فرسان إلى الجنوب للاستطلاع، وبعد سبعة أيام، وصل الشيخ زايد وجيشه إلى «عقلة ازويد»[99] ثم أرسل طلائعه؛ فوجدوا رجلاً في الطريق يسمى غيهب بن محمد من آل سنيد، وهو رجل موثوق، وصادق اللهجة؛ فأتوا به إلى الشيخ زايد؛ فسأله من أين أقبلت؟ فقال: من الدوحة، قال: ما وراك من الأخبار؟!؛ فقال له: «خلفت جيوش الشيخ قاسم على مسيمير وهو يستعرضها في أول اليوم وآخره، ويعملون المناورات الحربية في كل حين، وعلى أتم الاستعداد لخوض الحرب معكم»؛ فلما سمع الشيخ زايد هاله ذلك، وقال له: ما تكلمت بالصحيح، قال: إذا لم تصدقني؛ فأرسل طلائعك حتى تنظر بعينها؛ فأرسل الشيخ زايد طلائعه؛ فأقبلت حتى وقفت على «عقلة شقرة»؛ فرأوا طلائع الشيخ قاسم؛ فرجعوا إلى الشيخ زايد وأخبروه بالخبر.

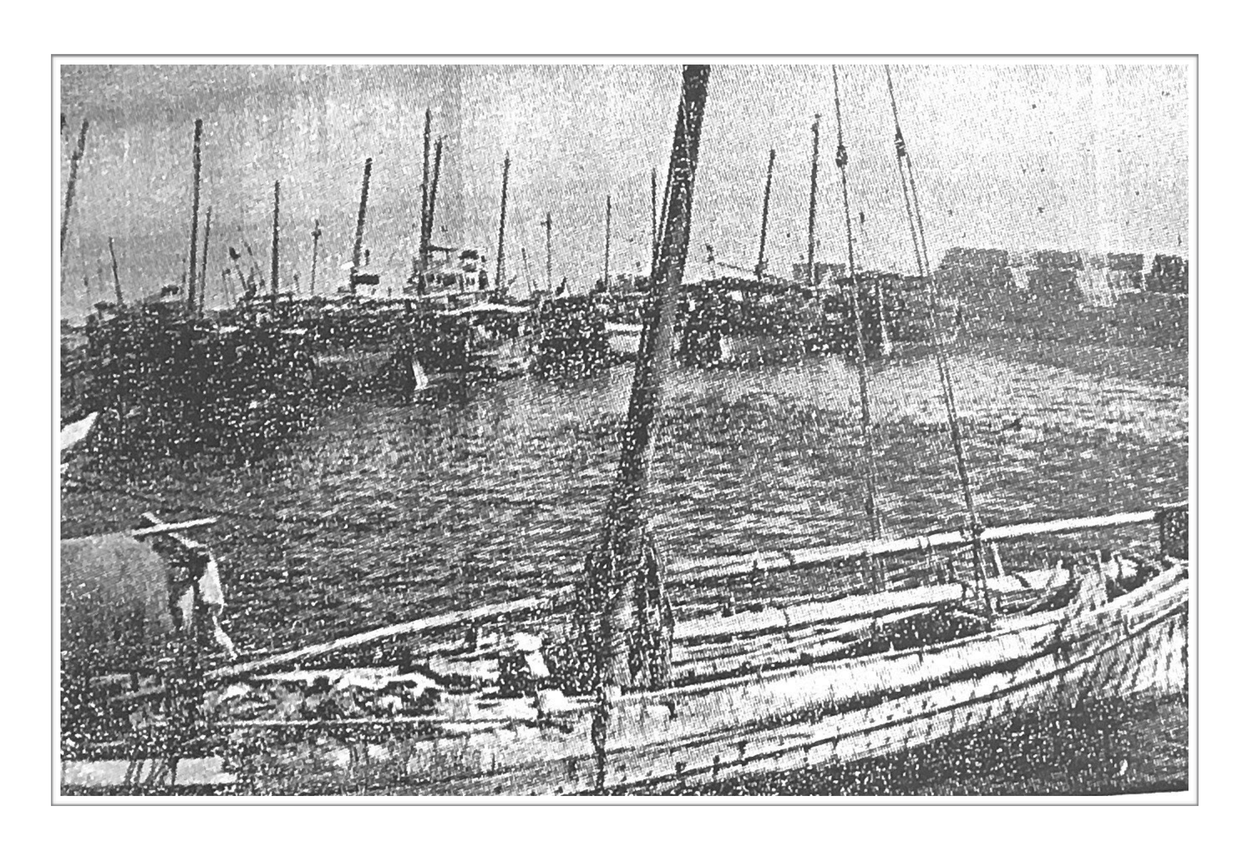
فلما رأى اجتماع أهل قطر وتصميمهم على محاربته وقوة بأسهم، انصرف عن غزو قطر وتوجه نحو جماعة من آل مرة خارج قطر؛ فأسرهم؛ فلما حقق معهم وجدهم من أتباعه ومصالحيه؛ فأرجع عليهم أموالهم، ولم يأخذ منها شيئًا، ثم إنه اتجه شمالاً وحمل على بني هاجر بالقارة جنوب العقيل وهم جماعة ابن شافي؛ ففزعت عليهم خيول بني هاجر وأسفرت عن قتل محماس ابن شافي ثم لما حقق معهم أيضًا، وإذا بهم من قومه ومسالميه؛ فلم يأخذ منهم شيئًا ثم رجع بخفي حنين، ولم يستفد من هذه الرحلات والغزوات شيئًا أبدًا، وبعذ هذه الوقائع لم يغز قطر أبدًا، وتسمى هذه الواقعة بوقعة «القارة» سنة ١٣٠٦هـ.

---

[97] السلع: موقع على حدود عمان وقطر.

[98] لقد مر الكلام على ذكر مسيمير.

[99] العقلة: محل مرعى للمواشي وفيه ماء.



منظر من مناظر ميناء الدوحة في قطر

وقعة سويحان[100] سنة ١٣٠٧هـ

في سنة ١٣٠٧هـ، غزا الشيخ أحمد ابن ثاني عمان في ثلاثمئة رجل ومائة فارس، وخاضوا عمان بأجمعهم حتى وصلوا قبلة أبو ظبي؛ فلم يجدوا في تلك البقاع شيئًا يستحق الذكر والغنيمة حتى إذا وصلوا شمال البريمي قبضوا على رجل، وسألوه عن بني ياس؛ فقال لهم إن بني ياس، قد تجمعوا على سويحان؛ فبكر الشيخ أحمد ابن ثاني برجاله، وحمل عليهم في سويحان، وأخذوهم أسرى، وفيهم من قبيلة السبايس ورئيسهم ابن شطاف ثم قتلوا ثلاثة من أولاد ابن شطاف، والرابع رجل يسمى «العايد» من آل بن شعر هؤلاء المعروفون، وأما القتلى الآخرون؛ فعددهم خمسة وثلاثون رجلاً إضافةً إلى غنائم الإبل التي أخذها أهل قطر، وهي تتجاوز الألف ناقة، ولما علم الشيخ زايد برجوعهم حشد قواته، وتبعهم بقيادة ولده الشيخ خليفة بن زايد.

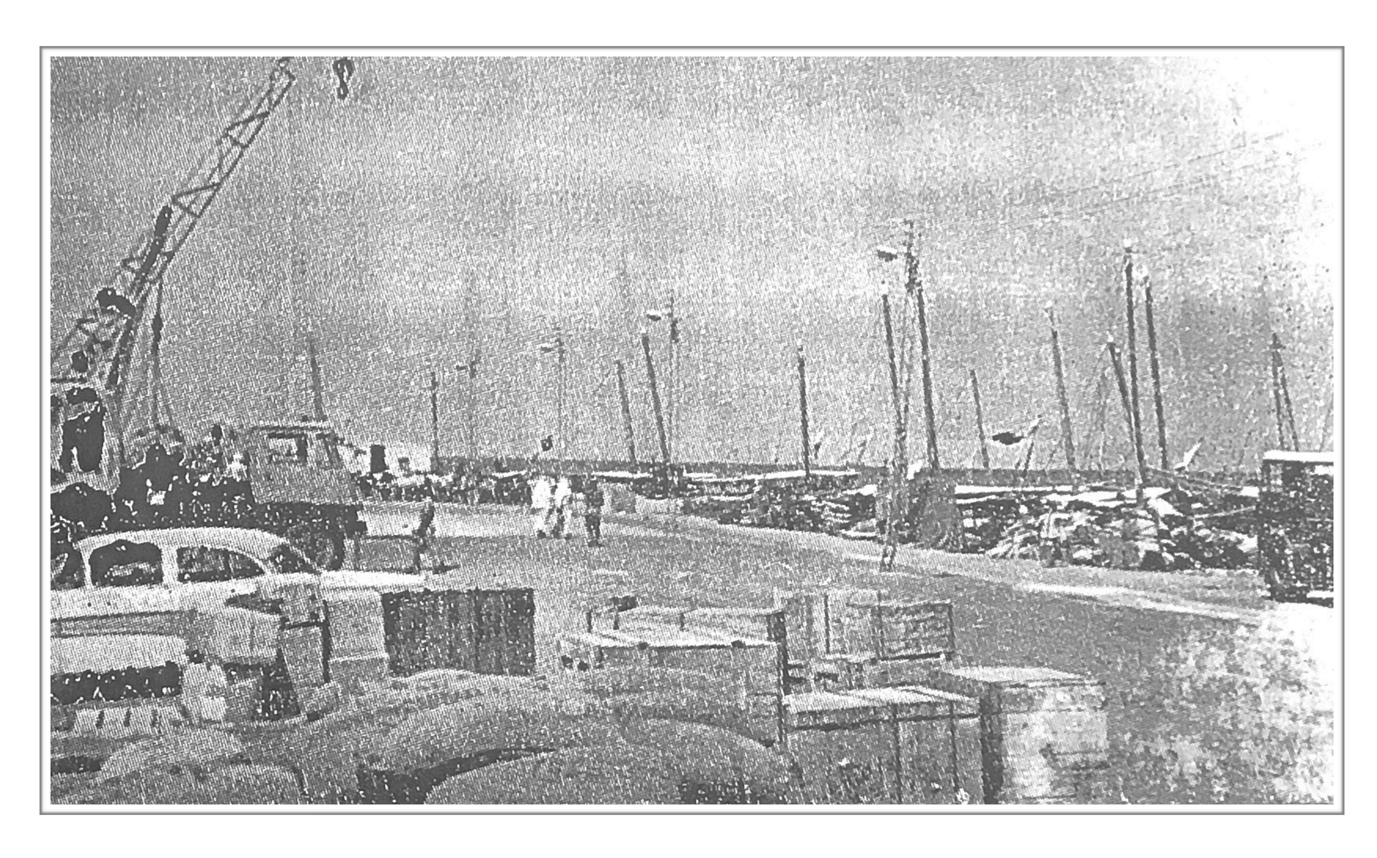
أما الشيخ أحمد؛ فقد اختار من الإبل أقواها، وأحسنها، وأطيبها وأرسلها إلى قطر، وهي ستمائة ناقة، وأرسل معها سيفًا الهاجري، وسعيدًا الحبشي ومعهم عشرون رجلاً، وفي ليلة السابع عشر من رمضان من السنة المذكورة؛ لحق الطلب بهم في أرض يقال لها: أحذية آمنة وتلاقوا معهم ليلاً، وكانوا على أهبة المسير؛ فجمع الشيخ أحمد كبار قومه واستشارهم، وقال لهم إن الطلب قد لحق بنا؛ فماذا ترون وكان بينهم مبارك بن نايفة، وسعيد المطوع، وحمد بن عوجان؛ فقال مبارك بن نايفة: «أنت وقومك الحضر[101] تسيرون مع الغنائم، ونحن نلتقي مع العدو الذي يطلبكم»، وسندافع عنكم»؛ فقال الشيخ أحمد: «إن هذا الرأي غير صائب؛ لأنه إذا رأوكم لوحدكم يرمونكم بالرصاص، والنار؛ فتغلب أنت وأصحابك؛ فنكون نحن وأنت قد انخذلنا وانكسرنا، ولكن الرأي أن نحمل عليهم حملة رجل واحد، وندع الغنائم تمضي في حماية سيف الهاجري؛ فغضب مبارك على الشيخ أحمد من عدم أخذ استشارته، واختلف مع الشيخ أحمد، واعتزل هو وجماعته «آل شهوان»، وفارقوه بعد أن أخذوا معهم ما شاؤوا من الإبل والسلب.

أما الشيخ أحمد وعبد الرحمن بن قاسم، والذين معهم من بقية بني هاجر (المزاحمة والخيارين) اجتمعوا وتلاقوا مع العدو، وهو جيش الشيخ زايد، واقتتلوا طوال ليلتهم حتى الفجر؛ فقتل رجل يسمى علي بن ماجد الملقب «حذيف»، وهو من شخصيات النعيم، وسعيد المطوع، أصيب في يده، وعقرت خمس أفراس، ولم يطلع الفجر إلا وقد قتل من أهل عمان خمسة رجال، واعتقلت منهم عشرون ناقة ثم إن الشيخ أحمد وقومه لحقوا بالنياق التي يسوقها سيف الهاجري؛ فوجدوا مبارك بن نايفة معهم؛ فأخذوا الإبل التي اقتطعها من السلب سابقًا، ورجعوا منصورين ظافرين مسرورين إلى الدوحة؛ فأعطوا الإبل التي كانت مع سيف الهاجري إلى الشيخ قاسم؛ فأرسل منها مائة من أجود الإبل إلى محمد ابن رشيد في حايل، وما تبقى من الغنائم قسمه الشيخ أحمد على قومه، وتسمى هذه الواقعة «وقعة سويحان» سنة ١٣٠٧هـ.

---

[100] سويحان: هو موقع فيه ماء معروف يقع جنوب إمارة دبي.

[101] الحضر: هم سكان المدن.



منظر آخر من مناظر ميناء الدوحة في قطر

وقعة أم عنيج[102] سنة ١٣٠٨هـ

في سنة ١٣٠٨ ، غزا قوم من العجمان[103] على محمد بن الدعيل آل ضاعن في قطر ، واعتقلوا منهم سبعة أنفاراً ، وكلهم من أنصار الشيخ قاسم ابن ثاني ، وهم السودان منهم خليفة بن ناصر وسلطان بن ناصر ، والشيخ صقر بن محمد آل خليفة ، ومهنا بن جبر آل مسلم ، وراشد بن جابر بن شرعان ، وحميد بن ناصر السوداني ، وعبد الهادي من بني هاجر ، وكان الجميع في جولة للصيد والقنص ؛ فأقبلوا عليهم على حين غرة ، وأخذوهم ، ومضوا بهم مع إبلهم ، وعددها سبعة ، وعدد الغازين أربعين رجلاً ثم إنهم مضوا بهؤلاء الرجال ، وأخذوهم إلى العريق[104] ثم أركبوهم على ناقة واحدة ، وأخذوا بقية النياق ، وتركوهم ، هذا والشيخ قاسم ينتظرهم للعشاء إلى الساعة السادسة مساءً ؛ فاستغرب تأخرهم ؛ لأنهم ذهبوا من الصبح ولم يعودوا حتى تلك الساعة ، وحينما أقبلوا في آخر الليل أخبروه بالحادثة ، ولما أصبح الشيخ قاسم بعث براءة الذمة منه إلى رئيس العجمان «راكان» ، وانصرف عن الصيد والقنص ، وعزم على غزو العجمان ، وبعد عشرة أيام خرجوا من قطر لغزو العجمان ، وحاصروهم في منطقة أم عنيج وكان فيها عشيرة «آل عرجة»[105] ورئيسهم حينذاك «عويسان» ؛ فأخذوا كل ما لديهم من المال والإبل ؛ ثم قفلوا راجعين مسرورين من نشوة النصر ، وبعد وصولهم بخمسة أيام أقبل عليهم فلاح بن راكان ومعه بطي بن منصور بن منيخر ، وطلب من الشيخ قاسم الصلح والعفو ؛ فصالحهما وكساهما وأكرمهما ، ومضيا إلى ديارهما معززين مكرمين ، وتسمى هذه الواقعة بوقعة «أم عنيج» سنة ١٣٠٨هـ .

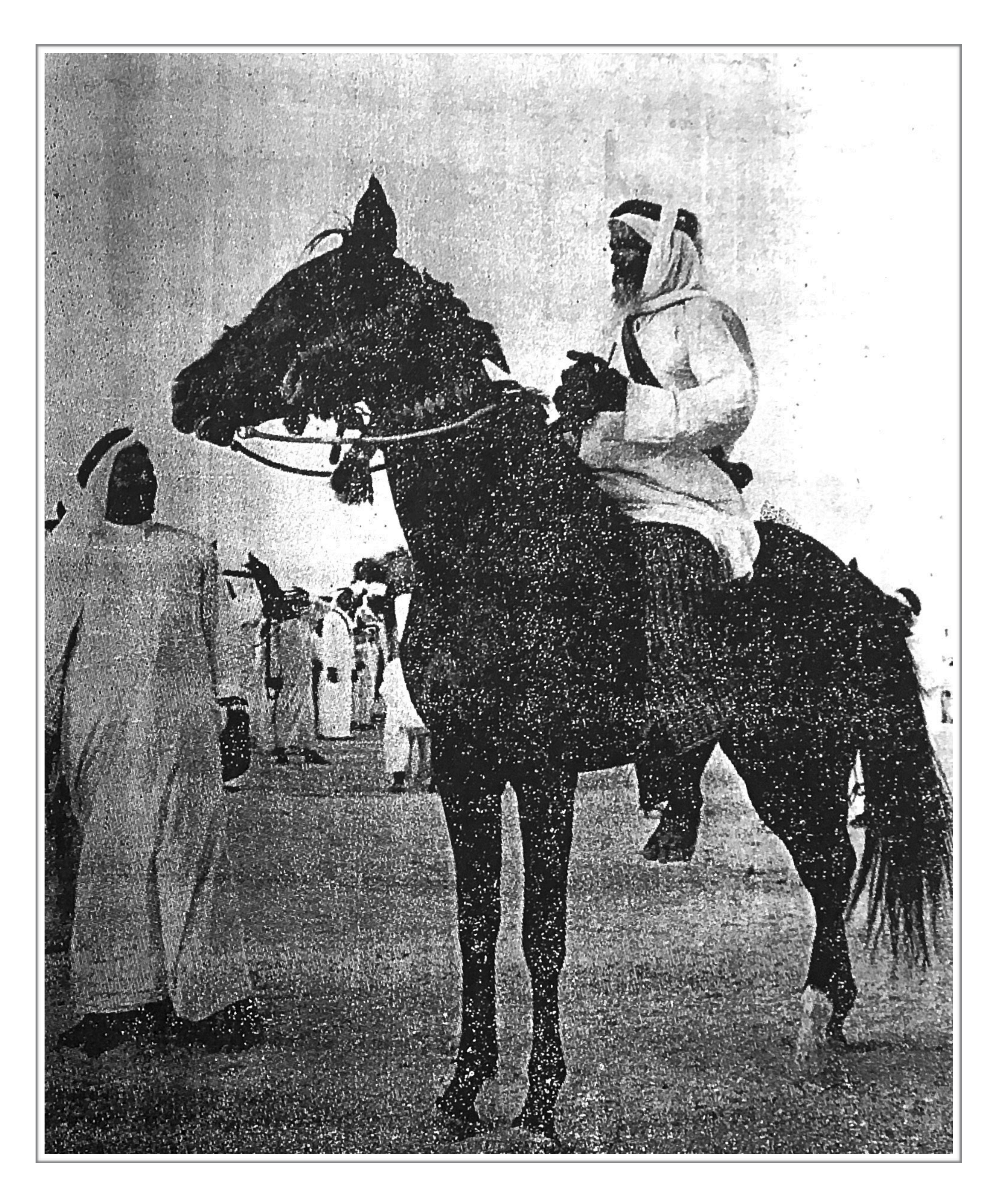
---

[102] هي منطقة من مناطق عمان .

[103] العجمان : قبيلة مشهورة ، وهي تقطن في ساحل عمان على الخليج العربي .

[104] العريق : منطقة مساحتها نحو أربعين كيلو متراً مربعاً ممتدة شرقي اسكك إلى خشم دخان ، وفيها الآن آثار قديمة مشرفة في جو العريق .

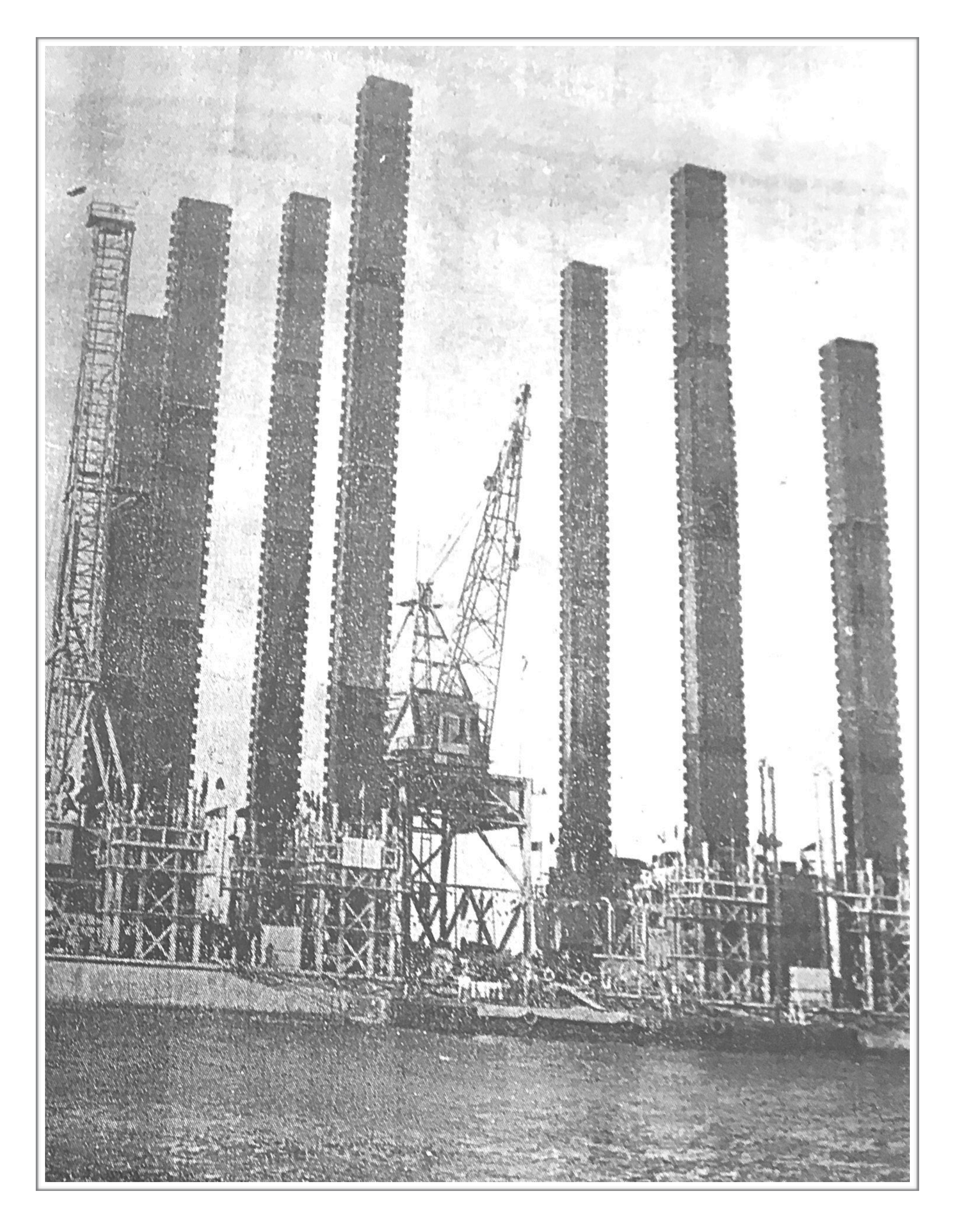
[105] عشيرة العرجة : وهي من القبائل المعروفة في ساحل عمان .



الخيول العربية الأصيلة، ورمز الشجاعة والفروسية في إمارة قطر

يوم الصفا سنة ١٣٠٩هـ

في سنة ١٣٠٩ ، غزا الشيخ أحمد ابن ثاني عمان ، وجرت بينه وبين «دروع»[106]، وهي عشيرة في عمان معارك دامية ، وكانت المعركة في وادي صفاء في عمان ، وكان النصر في كل هذه المعارك للشيخ أحمد؛ فقتل من قتل ، ونهب من نهب ، وانكفأ مسروراً ، ولم يلحقه أي أذى ، تسمى هذه الواقعة «يوم الصفا» سنة ١٣٠٩هـ.



«الرج» الذي تستعمله شركة «شل» للتنقيب عن البترول في مياه إمارة قطر

[106] دروع : قبيلة معروفة من قبائل عمان .

شكاوى ضد الشيخ قاسم بن ثاني

في سنة ١٣١٠ ، توجه محمد حافظ باشا[107] إلى قطر عن طريق الأحساء لأسباب منها : إن الإنجليز قدموا شكاية لدى الدولة العثمانية بحجة أن جميع الحركات والاضطرابات والاستفزازات التي تجري في ساحل الخليج سببها الشيخ قاسم بن ثاني ، وتقدمت عرائض وشكاوى من أهل الأحساء إلى الدولة العثمانية ، قالوا فيها : «إن جميع المنهوبات التي تنهب من طريق العقير والأحساء كلها تدخل قطر وتباع في أسواقها» . أما شكاية الإنجليز هذه فكما هو معلوم أنهم أرادوا الإيقاع بين الشيخ قاسم بن ثاني وبين الدولة العثمانية ؛ لذلك توجه محمد حافظ باشا من البصرة لأجل اعتقال الشيخ قاسم نظرًا لهذه التهم ، وكان للشيخ قاسم أصدقاء في البصرة ؛ فأخبروه سرًا بالخبر ، ثم إن الوالي العثماني المذكور ، أمر الشيخ محمد بن صباح[108] أن يتوجه بجيشه نحو قطر ؛ فأرسل الشيخ محمد الصباح جيشًا بقيادة أخيه مبارك الصباح ومعهم جمع من العجمان وغيرهم ، وكان الجيش الكويتي لا يريد الاشتباك مع الشيخ قاسم ، وإنما يريد إظهار الطاعة للأوامر السلطانية ؛ فكان يتباطأ في سيره .

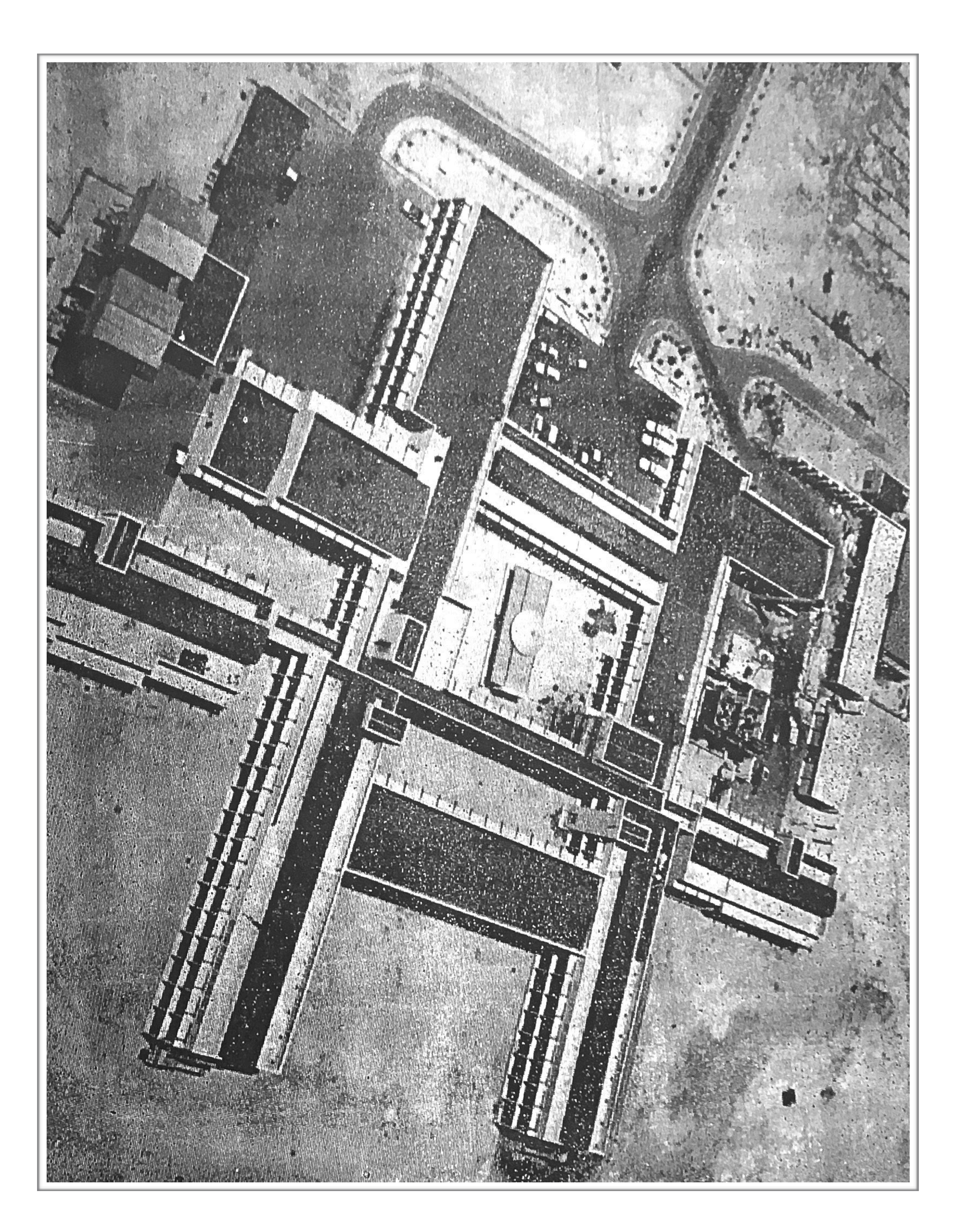
أما الوالي محمد حافظ باشا ؛ فقد مكث في الأحساء شهرًا كاملاً ثم خرج ومعه ثلاثة طوابير عسكرية ، ومائتان وخمسون فارسًا ، وأربعمائة من عشيرة «العقيل» ، وصبحوا معهم عبد الرحمن آل فيصل ، وعبد الله السعدون ، ودخلوا قطر ، واعتصموا في القلعة وبنوا خيامهم ثم أظهروا الهدوء والسكون والسلم ، وكأنهم جاءوا للإصلاح ، وبعد وصولهم إلى الدوحة ، جاء الشيخ أحمد بن ثاني إليهم مسلمًا عليهم ؛ فسأله الباشا عن أخيه الشيخ قاسم ؛ فقال الشيخ أحمد : «إنه أوفدني بالنيابة عنه إليك ؛ لأنه كبير السن ، ومنحرف الصحة ، ولن يتمكن من الوصول إليك» ؛ فلم يكتف الباشا بهذا الاعتذار من الشيخ أحمد دون أن يكتب إلى الشيخ قاسم كتابًا يستقدمه ، وذكر له أنه : «نحن لم نأت إلا لأجل الاجتماع بك ، والتفاهم معك في جميع الشؤون» ؛ فأرسل الشيخ قاسم قائلاً : «إني أعتذر إليك من عدم المثول بين يديك ؛ لأني كبير السن ، وهذا أخي الشيخ أحمد ، اعتبروه من هذا اليوم ؛ فصاعدًا هو المسؤول عن البلاد ، والقائممقام في مكاني واعتبروني مستقيلاً» ؛ فلم يكتف الوالي بذلك ، وكتب إليه يقول : «نحن قد قبلنا استقالتك ، وقبلنا الشيخ أحمد أن يكون قائممقامَ في مكانك ، ولكن هناك أمور جرت حين كنت المسؤول عنها بصفتك أنت القائممقام ، وسنقدم إليك الشكاوى التي تقدمت إلى الدولة ضدك من الإنجليز ، وأهل الأحساء وغيرهم ؛ فإذا كنت تعتبر هذه الشكاوى ملفقة ومزورة ؛ فيجب أن تدافع عن نفسك ، وأما إذا كانت صحيحة وثابتة عليك ؛ فيجب أن تطلب من الدولة العفو ، وإنا مساعدوك في هذا الأمر» ؛ فأجابه الشيخ قاسم - مرةً أخرى - قائلاً : «إذا لم يكن بدًا من المقابلة ؛ فإني سأتوجه إلى قصر الوجبة[109] ، وسيكون اجتماعنا هناك للمفاوضة» .

[107] محمد حافظ باشا هو المندوب التركي من قبل والي البصرة حينذاك .

[108] الشيخ محمد الصباح هو أمير الكويت حينذاك .

[109] الوجبة أي الوقبة وهي الآن روضة تبعد ٦ كيلومترات عن الريان الجديد غربًا ، وكان يسكنها المرحوم حسن بن عبد الله آل ثاني ، وبها قصر قديم يسمى قصر الوجبة .

ثم إن الشيخ قاسمًا شخص بعد يومين إلى قصر الوجبة ، وأرسل الوالي عوضًا عنه سعيد باشا طابور أغاسي ؛ فاجتمع مع الشيخ قاسم في الوجبة ، وتفاوضا معًا ؛ فلم تسفر المفاوضة عن شيء يذكر غير الذي سبق من الشيخ قاسم من القول ، وأردف الشيخ قاسم قائلاً : «إن الوالي وعد بالحضور ، ولم يحضر» ؛ فقال سعيد باشا : «إن الوالي كبير في منصبه ، ولا يحق له أن يتوجه لموظف صغير مثلك ؛ لأنك بالنسبة له قائممقام» ؛ فقال له : «إذًا سلم لنا عليه ، وقل له ؛ فليطلب ما يشاء من الدراهم والسلاح ، والقائممقام بعد هذا اليوم هو أخي الشيخ أحمد ، وأما وصولي إليه ؛ فمتعذر» .



منظر من الجو للمستشفى الكبير الضخم والمعروف بمستشفى الرميلة في إمارة قطر

اعتقال الشيخ أحمد بن ثاني من قبل الباشا العثماني

أخذ الشيخ أحمد بن ثاني يتردد على الوالي محمد حافظ باشا للمفاوضة نيابةً عن أخيه الشيخ قاسم، وقال فيما قال: «إنكم تدعون بأننا لم ندفع الميري[110] من قبل خمسة عشر سنة، وإن قولكم هذا زور وبهتان؛ لأننا لا نملك نخيل، ولا توجد عندنا أملاك كي ندفع عنها الميري (الضريبة) كما أننا نبقى ثمانية أشهر في البر، وأربعة أشهر في البحر للارتزاق، ومع ذلك سنعطي للدولة خمسين ألف ريال فرنسي وأربعمائة بندقية (مارفيل)، والبلد هي بأيديكم؛ فأعملوا بها ما شئتم»، وكان هذا الحديث قد جرى بين الوالي وبين الشيخ أحمد ليلاً؛ فقال الوالي للشيخ أحمد: «امضِ الآن، وفي الصباح توجه إلينا مع أعيان البلد؛ لأجل كتابة العهد لك بالقائممقامية بمحضرهم ويشهدون على الشيخ قاسم بالعصيان، وإنه شقي»؛ فاجتمع زعماء البلد في اليوم الثاني عند الوالي، وعددهم ستة عشر وعلى رأسهم الشيخ أحمد؛ فما كان من الوالي إلا أن أمر باعتقالهم؛ فاعتقلوا، واركبوهم الباخرة التي ترسوا في عرض البحر، ثم أمر الوالي باحتلال بيت الشيخ قاسم بن ثاني، وبيت خليفة بن الشيخ قاسم، وجميع منطقة النعيجة، وأن يجعلوا فيها الجيش التركي ثم حاصروا الأهالي الذين كانوا في البادية، ومنهم الشيخ قاسم وصحبه الذين كانوا خارج الدوحة، ومنعوا أن تأتيهم أي مؤنة من البلاد، وجعل الجيش يدور في البلاد ليل نهار، وأمروا صيادي الأسماك ألا يدخلوا البحر إلا بعد طلوع الشمس، وضيقوا الخناق على البلاد مما جعل الشيخ قاسم يفكر في الأمر مليًا؛ فقرر أن يستشير أصحابه؛ فجمعهم وقال لهم: «إني أرى الأمور قد عظمت وتطورت، وبقائي عندكم هو غير صالح، ولكن أرى أن من الصالح أن أمضي عنكم، وإني رجل غني وغير محتاج، ويجوز أن تنفرج هذه الأزمة في غيابي عنكم، ويطلق الأتراك سراح أخي الشيخ أحمد ورفاقه من الاعتقال ويأمروه على أهل قطر. أما أنتم – يا قبائل قطر – فقد أذنت لكم بالانصراف كل واحد منكم لشأنه»؛ فعند ذلك تفرق أهل قطر؛ فرحل البوكوارة والمهاندة إلى بلادهم، وبقيت قبيلة النعيم عند الشيخ قاسم في الوجبة، وأرسل الشيخ قاسم رسولاً يسمى «سويب بن غدير» إلى الشيخ زايد للمصالحة؛ فأجابه الشيخ زايد إلى ذلك بالقبول، ثم أعلن الخروج من قطر، ولكنه لم يعين الجهة التي يغار إليها؛ فتسربت الأخبار إلى الوالي أن الشيخ قاسم لم يبق معه واحداً من أصحابه وقد عزم على الخروج من قطر.

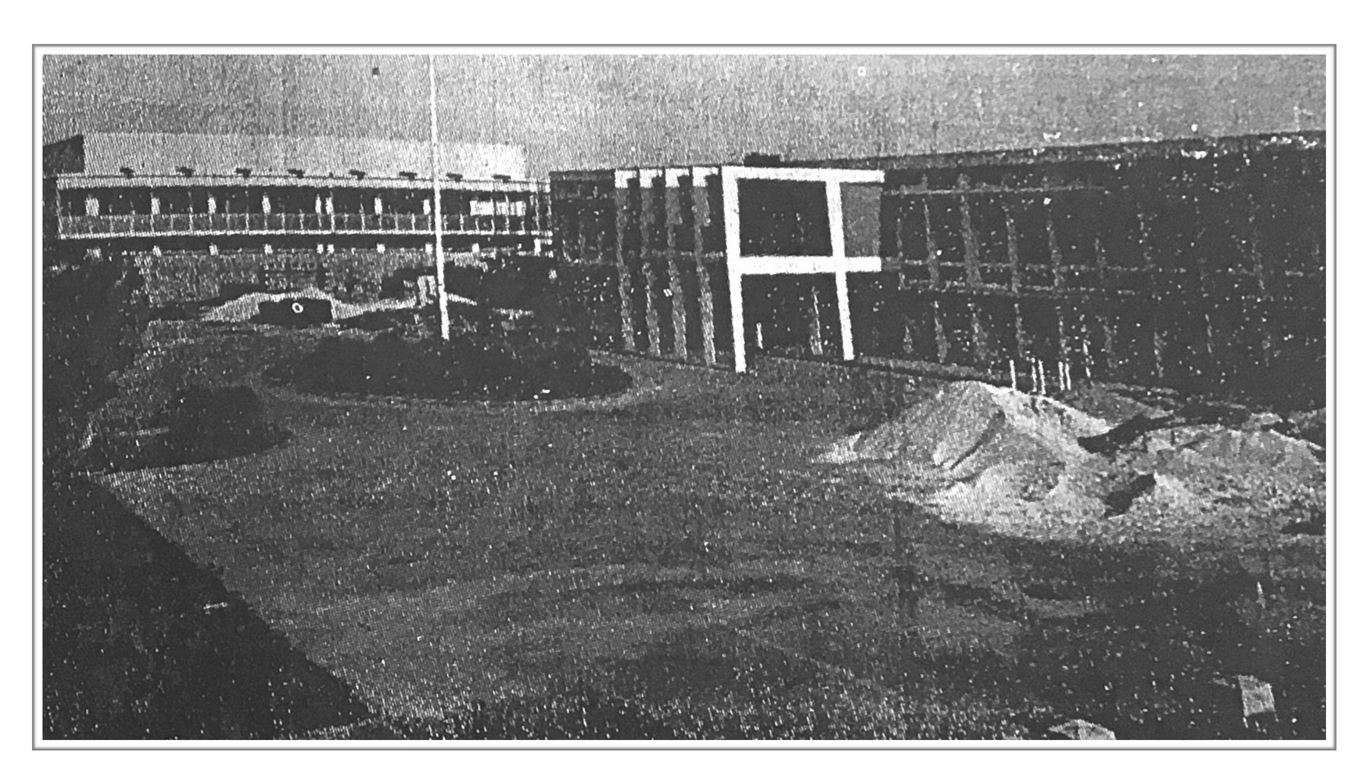
---

[110] الميري: هي الضريبة المقررة من الحكومة العثمانية على الرعايا حينذاك.

نشوب معارك دامية بين الشيخ قاسم بن ثاني وبين الأتراك وانتصار الشيخ قاسم عليهم

اغتنم الوالي فرصة تفرق أنصار وجيش الشيخ قاسم؛ فخرج بجيشه من البلد ليلاً في الساعة الخامسة قاصداً الهجوم على الشيخ قاسم؛ فأدركهم الصباح، ولم يصلوا إلى مقر الشيخ قاسم الذي كان بعيداً عن الوجبة [111]مقدار فرسخ واحد[112]، هذا وقد وصل الوالي قريبًا من الوجبة؛ فلما رأه أهل الوجبة أطلقوا عليه النار؛ فسمع الشيخ قاسم إطلاق النار؛ فأنجدهم بخيله ورجاله، واشتبكوا مع الجيش التركي، وجرت بينهم معارك دامية مريرة كانت نتيجتها انكسار جيش الأتراك؛ فالتجأت فلول الجيش التركي المنهزم إلى قصر الشيخ قاسم، ويسمى «الشقب»، وكان قريبًا منهم، وتحصنوا فيه، ثم جاء جيش الشيخ قاسم، وأحاط بالقصر من أربع جهاته، بعد أن استولى مدفع الأتراك، وجعل يرمي القصر بحممه، ودامت المعركة من الصباح إلى العصر.

أشار قوّاد الوالي عليه أنه إذا بقينا ها هنا في القصر إلى الليل سيقتلنا الشيخ قاسم عن بكرة أبينا، ولكن الرأي أن نخرج في هذا الوقت، ثم خرجوا مكسورين مندحرين منهزمين لا يلوون على شيء، ووجهتهم شرقًا يريدون الدخول إلى البلاد (الدوحة)؛ فتبعهم الشيخ قاسم بجيشه وقومه، وأوقع فيهم وقعة عظيمة حتى قتل مشاة الجيش عن آخرهم، وأخذ سلاحهم، ولم يسلم سوى القليل من الخيالة، والهجانة، والتجأوا إلى قلعتهم في الدوحة. أما الوالي؛ فقد ركب البحر، وتحصن بباخرته.



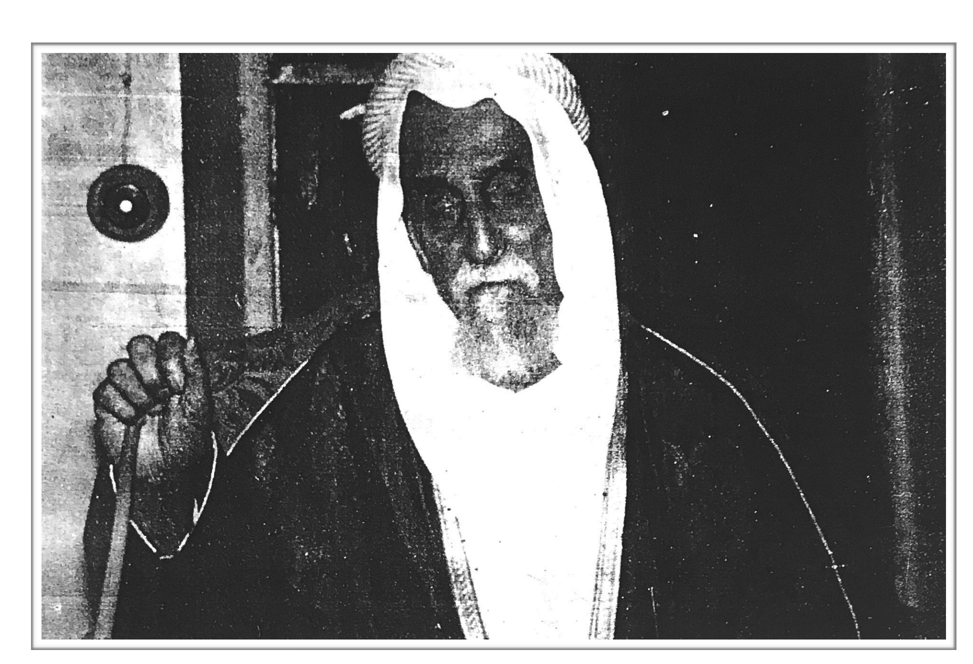
دائرة المعارف في الدوحة عاصمة قطر

[111] لقد مر الكلام على ذكر الوجبة.

[112] الفرسخ: يقدر بثلاثة كيلومترات.

رضوخ الأتراك لأوامر الشيخ قاسم ابن ثاني، وإطلاق سراح الشيخ أحمد ابن ثاني

رجع الشيخ قاسم إلى النعيجة (مروى الدوحة)، ونزل فيها، وأمر بسحب المدفع إلى الجبل مقابل القلعة التي حوصر فيها الجيش التركي مع خيله ورجاله، وعندما نصب المدفع على الجبل، وشاهد الأتراك إطلاق قذائفه، أيقنوا بالهلاك والموت؛ فأعطوا إشارة عسكرية إلى الوالي الذي قد تحصن بمركبه في البحر، وكان تلك الإشارة العسكرية ضرب البوق، وهي تدل على قرب فنائهم جميعًا مما جعل الوالي أن يتنازل، ويكتب كتابًا إلى الشيخ قاسم ابن ثاني يسترحمه ويستعطفه، ويطلب منه العفو والمصالحة، وهو كبير السوارية (الفرسان)؛ فأجابه الشيخ قاسم قائلاً: «لا مصالحة إلا بإطلاق سراح الشيخ أحمد ورفاقه؛ فإذا أطلقتم سراحهم، وقدموا إلينا؛ فسوف تسلم القلعة ومن فيها من الفناء»؛ فلم تكن الساعة السادسة نهارًا إلا والشيخ أحمد وأصحابه قد أطلق سراحهم، ودخلوا الدوحة، ووصلوا للشيخ قاسم؛ فأصدر الشيخ قاسم أمره، وقال: «إن الجيش الذي أتى من الأحساء وهم الهجانة والسوارية[113] يرجعون إليها، أما عسكر القلعة الأصليين؛ فلا مانع من بقائهم في محلاتهم»، هذا وقد نفذ الوالي أوامر الشيخ قاسم ابن ثاني حرفيًا.



سمو الشيخ محمد بن أحمد آل ثاني، وقد سبق أن ذكرنا للقارئ الكريم طرفًا من ترجمته في صفحة ٢٥ من هذا الكتاب؛ فليراجع.

[113] السوارية: أي الخيالة.

انتهاء حياة الغزو في قطر

اتفق الشيخ قاسم وأخوه الشيخ أحمد على جلاء أهل الدوحة منها بأن لم يبق فيها سوى العسكر، وكان الغرض من هذه المناورة أن يتذرعوا لدى الباب العالي في إستانبول من أن الوالي نفسه هو الذي أعلن الحرب، وسبب هذه المآسي في قطر، وصنع ما صنع، وكان موقف الشيخ قاسم، وأخيه، وأهل قطر جميعًا موقف المدافع عن النفس، وبذلك تقع المسؤولية على عاتق الوالي، ويتخلص منها الشيخ قاسم والشيخ أحمد، وقد نفذ أهل الدوحة هذه الخطة بحذافيرها تحت مسمع الوالي وبصره، ثم عزز أهل الدوحة هذه الحركة بإرسال الشكاوى إلى السلطان عبد الحميد ضد محمد حافظ باشا زاعمين فيها أنه قد دمر البلد، وذبح الصغار والكبار، وقد أخذت هذه الشكاوى طريقها من مسمع السلطان عبد الحميد؛ فأمر بعزل محمد حافظ باشا، وطلب في برقية أرسلها إلى الشيخ قاسم يأمره بالخلود إلى الهدوء والسكينة، وبذلك انتهت حياة الحروب والغزوات في قطر إلى اليوم، وحل محلها الاستقرار والنظام[114].



سمو الشيخ محمد بن أحمد آل ثاني وهو يملي مذكراته التاريخية القيمة على المؤلف

[114] إلى هنا أوقفنا مذكرات سمو الشيخ محمد بن أحمد آل ثاني، وسننشر بقية مذكراته في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله.

فهرست الكتاب